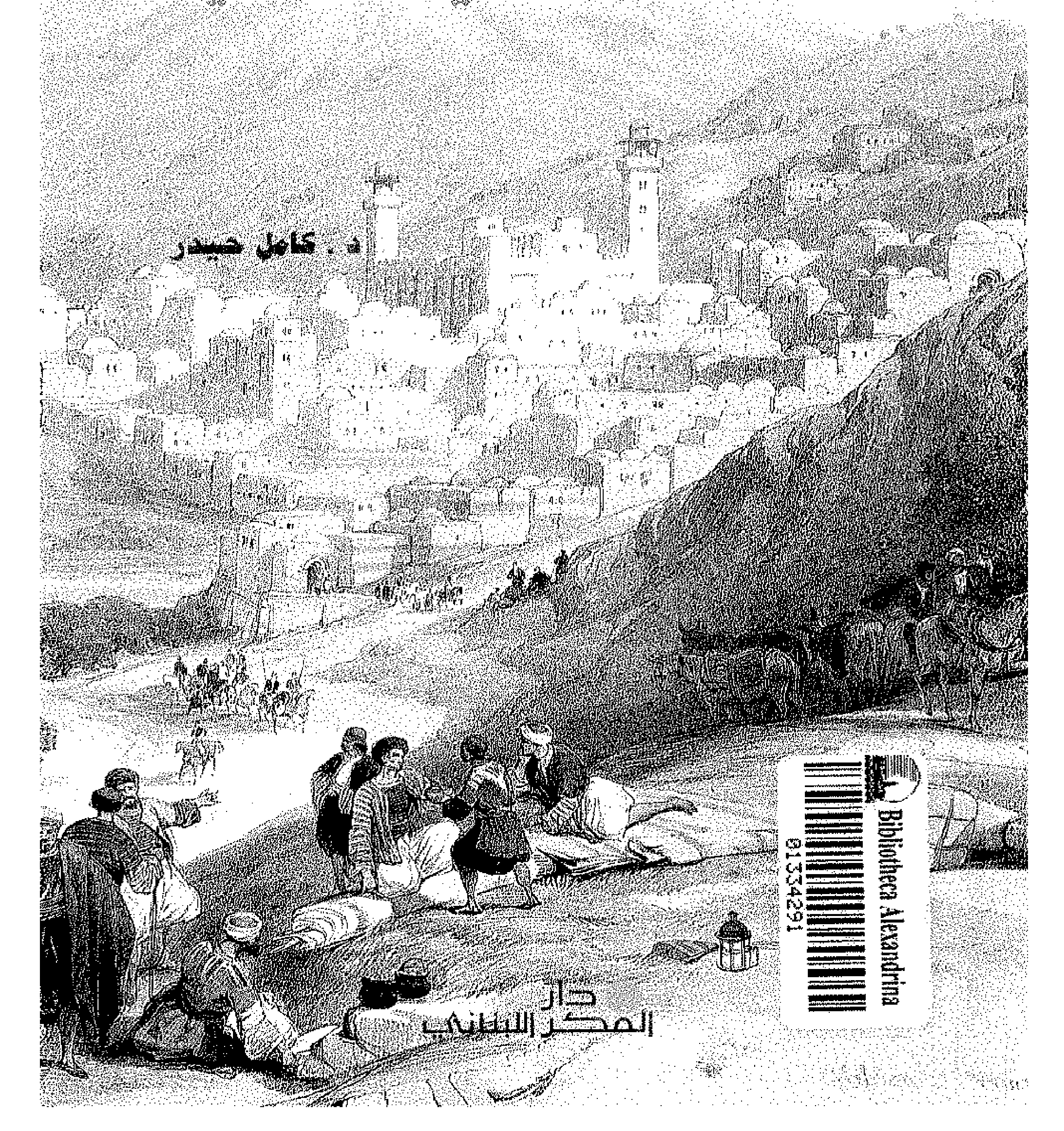
منهج البحث الأثري والتاريخي



منهج البحث الأثري والتاريخي

د . كامل حيدر

دار الفكر اللبناني
بيروت



للطباعة والنشر

كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان
هاتف: ٦٣٠٩٠٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣٠٧٥٧
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠

الطبعة الأولى ١٩٩٥

الإهـــداء :

إلى : خليل دائماً يهدني
جمل ترتلّ فتزيدني رهبةً
حين أتلوها تنجّيني

المقدمـة

يسعدنا أن نقدم إلى طلابنا الأعزاء إلى كل المهتمين بالدراسات الإنسانية والآثارية والتاريخية هذا الكتاب في موضوع منهج البحث الأثري والتاريخي ، وفقاً لمفردات المنهج الذي وضعتُه الجهات المختصة في كلية الآداب (الجامعة اللبنانية) وأخذنا على عاتقنا إعداده ضمن الكتب المنهجية المقررة .

ونرجوا أن نكون قد وفقنا في جعل الكتاب مناسباً ووافياً بمفردات المنهج المقرر وفي مستوى مرحلة الدراسة الجامعية التي خصصت لدراسته .

ونرانا في غنى عن القول أن موضوع هذا الكتاب يحتل مكانة بارزة في الأهمية من حيث منهجيته في البحث العلمي التي تعتبر من المستلزمات الرئيسية ، والمنطلق الأساس في الدراسة الإنسانية بشكل عام والآثارية والتاريخية بشكل خاص .

فقد تنوعت مناهج البحوث بحسب الموضوعات التي تتناولها ، وأصبح لكل علم وفرع من المعرفة ، منهج بحث خاص ، ومع أن معظم مناهج البحوث المختلفة تشترك في اتجاهها العام في طريق التحري والبحث واستنادها إلى أسس المنطق الاستقرائي والاستنتاجي ، بيد أنه يوجد اختلاف في طبيعة الموضوعات التي يبحث فيها كل من تلك الحقول ، وفي جمع الحقائق والمعلومات . فهناك بحوث علمية تحتاج إلى المختبر والتجارب في جمع

معلوماتها واستخراج القوانين والقواعد العامة التي تفسر الحقائق التي تبحث فيها .

أما بالنسبة للآثار والتاريخ فإنهما يختلفان عن العلوم الأخرى في طبيعة المادة التي نحتاجها والتي هي أقرب إلى العلوم الوثائقية ، وفي الوقت الذي يبحث فيه الباحث عن الآثار في مخلفات الماضي منذ بدأ الإنسان في صنع أول آلة وأول أداة ، فإن عالم التاريخ يتناول كافة الأحداث والفعاليات التي صنعتها الشعوب منذ أكثر من خمسة آلاف سنة حيث كانت البدايات الأولى للتدوين والكتابة .

وقد حاولنا في الباب الأول من هذا الكتاب تغطية جملة من الموضوعات التي تتناول طرق التنقيب والبحث عن الآثار أينما كانت وأن نعرف القارىء على علم الآثار من حيث أهميته واتجاهاته الحديثة وعلاقته بالعلوم الأخرى ثم استعرضنا لتاريخ التنقيبات الأثرية في الوطن العربي وتحدثنا عن أهم أنواع المواقع الأثرية وطرق الكشف الأثري والتنقيبات العلمية ووسائلها وتحديد أهدافها وتأليف هيئة التنقيب وتأمين العدة اللازمة لها وطرق التنقيبات الأثرية في المواقع الحضارية القديمة على اختلاف أنواعها .

وتناولنا في الباب الثاني علم التاريخ وبداية التدوين التاريخي في الحضارات القديمة ومنها حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل والحضارة اليونانية والحضارة الرومانية والحضارة العربية الإسلامية .

وفي الباب الثالث تم البحث في منهجية البحث العلمي في حقلي الآثار والتاريخ والمراحل الأساسية التي يمر بها الباحث وصولاً إلى تحقيق بحث علمي متكامل في هذين المجالين ابتداءً من جمع المصادر والنصوص ومروراً بالنقد والاجتهاد وانتهاءً بمرحلة التأليف والعرض التاريخي .

وقد تناولنا في هذا الباب أيضاً طريقة تحقيق الوثائق والمخطوطات وتحدثنا عن أهم المخطوطات التاريخية في مكتبات العالم وأخيراً تطرقنا إلى

موضوع كيفية كتابة التقارير والبحوث لدى الباحثين المبتدئين مع بعض الإرشادات والنصائح للباحث الجديد في هذا المجال .

نأمل أن يساعد هذا الكتاب طلاب الآثار أثناء دراستهم وتدريبهم وأن يسترشد به العاملون في حقل الآثار أينما وجدوا .

وأن يعين طلاب علم التاريخ في تحقيق أهدافهم للتوصل إلى الحقائق التاريخية وفق المنهج العلمي للبحث التاريخي .

ومن الله التوفيق

كامل

الباب الأول

علم الآثار

الفصل الأول

١ ـ نشأة علم الآثار .
٢ ـ علاقة علم الآثار بالعلوم الأخرى .
٣ ـ أنواع المواقع الأثرية .

— ١ —

نشأة علم الآثار

علم الآثار (ARCHAEOLOGY) من الناحية اللفظية يعني دراسة الشيء القديم . وأقدم من استعمل هذه الكلمة المؤرخ الروماني «دنيس وليكارناس» ، ثم استخدمت في القرن السابع عشر في جميع اللغات الحديثة للدلالة على دراسة جميع الأشياء المادية المنظورة التي صنعها الإنسان القديم أو الأشياء التي لها علاقة مباشرة به[١] .

وعلم الآثار بمفهومه الواسع هو دراسة ماضي الإنسان ومخلفاته المادية والفكرية .

منذ وقت قريب لم يكن هناك سوى علم آثار كلاسيكي وعلم آثار مصري[٢] ، ولكن بعد التنقيبات الأثرية التي شملت معظم بلاد العالم . لم يعد لهذا العلم حدود إقليمية ، أما حدوده الزمنية فتقدر بداياتها في عصور قبل التاريخ منذ اختراع أول آلة ، أما حدّه الأعلى فيصعب تقديره ، حيث أن البعض يعتقد أن القرون الوسطى مادة أثرية ولا تدخل ضمنها دراسة عصر النهضة أي أن حدود علم الآثار تنتهي مع بداية القرن السابع عشر لأن كلمة علم الآثار ولدت في القرن السابع عشر . والحقيقة أن علم الآثار يهتم بجميع المظاهر

(١) ضو ـ جورج : تاريخ علم الآثار ـ ص ٦٠ . والدباغ تقي : طرق التنقيبات الأثرية ص ٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧ .

والأنشطة البشرية في العصور السابقة وأن حده الأعلى لا يمكن تحديده بزمن ثابت ، لأنه كلما زاد عمر البشرية كلما اتسعت الحدود الزمنية لعلم الآثار .

إن علم الآثار يُعنى بالدراسة العلمية لبقايا الحضارات القديمة ويحاول تجميع قصة الإنسان بعضها إلى بعض، فيحاول أن يعرف كل ما يمكن معرفته عن حياة الناس، فيبحث عن فنونهم وعن منازلهم ومبانيهم وأدواتهم وحكوماتهم وأسلحتهم وديانتهم وألعابهم ، وفي محاولة معرفة كل هذه الأشياء إكمال للنقص في معلوماتنا عن الحياة في الماضي البعيد ، وقراءة كل ما يتعلق بالأقدمين ، كما نفعل اليوم في قراءة كل ما يتعلق بتاريخنا المعاصر .

إن علماء الآثار في الواقع لم يكتشفوا لحد الآن سوى القليل من آثار الإنسان القديم ، وما بقي مطموراً تحت الأرض لا يمكن حصره ويحتاج إلى معاول المنقبين لتكشف لنا الكثير عن مسيرة الإنسان عبر آلاف بل ملايين السنين ، وقائمة الاكتشافات الأثرية في ازدياد لأن المنقبين عن الآثار في ازدياد دائم ، وشملت أعمالهم معظم بقاع العالم ، يساعدهم في ذلك التقدم التكنولوجي الحاصل في العالم والذي ساهم إلى حد كبير في تطور الاكتشافات وتقدمها أكثر مما مضى ؛ ويوجد اليوم فرع جديد من علم الآثار يسمى علم آثار ما تحت الماء ، نشأ هذا العلم بعد التطور الحاصل في مجال الإبحار والغطس واختراع الآلات والأدوات التي تساعد في الكشف عن قاع المحيطات والبحار والأنهار . في حين لم يكن المنقبون قادرون على فعل ذلك من قبل ، والمعروف أن آثاراً هائلة لم يكشف عنها ما تزال غارقة في قيعان المحيطات والبحار ، كالسفن والزوارق وما تحتويه من كنوز ، إضافة إلى المبادني والتماثيل وغيرها من الأدوات التي هُدِّمت وأُغرقت في البحار جراء الحروب أو الكوارث الطبيعية كالزلازل وغيرها . ولسوف تعطينا اكتشافات هذه الأشياء الكثير من المعلومات التي تفيدنا في معرفة أحوال الشعوب في العصور الماضية .

---

(١) الدباغ ـ المصدر السابق ص ٩ .

وتفيد المؤرخين في معرفة الكثير عن التجارة عبر البحار والنقل البحري في العالم القديم[1] .

ومع أن الاهتمام بالآثار لم يأخذ المنحى الجدي إلا في العصور الحديثة إلا أن محاولات الكشف عن الآثار تعود إلى آلاف السنين حيث نجد أن «نابوتيد» آخر ملوك بابل ، أمر بالحفر في موقع لهيكل قديم يسبق عهده بـ (٣٢٠٠) سنة ليعرف مبلغ قدمه[2] .

ووجدت إشارات أثرية لبعض مؤرخي اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد[3] .

وقديماً كان ينظر إلى الآثار على أنها بقايا وثنية يجب عدم احترامها بل عند البعض كان يستباح تهشيمها وتكاد هذه النظرة أن تكون موجودة عند العرب في المراحل الأولى للإسلام . إلا أننا نجد بعض الاهتمام من المؤرخين المسلمين القدامى بالآثار . لكنهم لم يتعدوا وصفها وقراءة كتاباتها إن وجدت ، وكانوا ينسبونها أحياناً إلى الجن أو إلى سليمان النبي ، أو قوم عاد ، ومنها جاءت تسميتها بالعاديات .

ومن هؤلاء المؤرخين نذكر على سبيل المثال : ابن عساكر وابن العديم وابن شداد ، والمقريزي . ومن الجغرافين الذين اهتموا بالآثار ، نذكر المقدسي وابن رسته والإدريس .

ومنهم من دعا إلى حفظ الآثار والاهتمام بها كجزء من تراث الأمة كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي .

واهتم ابن فضل الله العمري بآثار مصر وخاصة أهراماتها ، وألَّف كتباً تحدث عن عجائبها وحسن صنعتها .

(١) الدباغ ـ المصدر السابق ص ١٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢١ .

كما ألف الهمداني كتباً عن آثار اليمن . واهتم الأزرقي بآثار مكة . وألّف عن آثار فارس حمزة الأصبهاني .

وفي العصر الحديث بدأ الاهتمام بالآثار يأخذ منحىً جديداً خاصة في أوروبا حيث اهتم الأوربيـون في عصر النهضة بالآثار اليونانية والرومانية الموجودة حولهم ثم بدأ اهتمامهم بآثار الشعوب الأخرى مع ظهور الاستعمار وخاصة في بلاد الشرق على يد الحملات الفرنسية والإنكليزية التي كانت تحمل معها علماء ورجال دين وتجار للكشف عن الآثار وحملها إلى أوروبا .

ـ ٢ ـ

علاقة علم الآثار بالعلوم الأخرى

لعلم الآثار علاقة وثيقة بدراسات إنسانية متعددة وعلوم طبيعية كثيرة ، فعلاقته متينة جداً بعلم اللغات (PHILOLOGY) والعلمان يغطيان بعضهما البعض ، والكثير من الدلالات التي لا غنى عنها لعالم الآثار ، توجد في النصوص السومرية والأشورية والهيروغليفية والإغريقية واللاتينية وغيرها من اللغات القديمة ، فبعضها يقدم المعلومات عن أعمال ومباني أثرية لم يبق لها أي أثر مادي . وهناك صنف مهم من الأصناف التي يهتم بها علم الآثار ، تلك هي المدونات التي اكتشفت في الحفريات ، وغالباً ما تكون محفورة على مباني أثرية مثل الكتابات على شواهد القبور وكتابات إهداء المعابد والتماثيل وغيرها وهذه أمور تخص عالم الآثار لأول وهلة ، بينما نجد العقود والقوانين والتعاليم الدينية وغيرها من النصوص حتى ولو كانت منقوشة على الآثار المختلفة ، فإنها تخص عالم اللغات وهو الوحيد القادر على حل رموزها وتفسيرها وتقديمها لعالم الآثار .

وهناك علاقة وطيدة بين علم الآثار وعلم الإنسان .

إن عالم الآثار من خلال التنقيبات التي يقوم بها يقدم مادة غزيرة لعلماء الإنسان ، تفيدهم في بحوثهم واستنتاجاتهم عن تطور العنصر البشري على مر العصور ، من خلال اهتماماتهم بدراسة الهياكل العظمية البشرية ومقارنتها مع غيرها من حيث حجوم الدماغ ومقاساتها ، وطول القامات وأشكال الرؤوس

وبالتالي معرفة السلالات البشرية البائدة ، وبذلك يكون علماء الآثار قد مهدوا السبيل أمام «لامارك» و «داروين» ومن تبعهما للخروج بالنظريات المعروفة في أصل الإنسان وفي النشوء والارتقاء .

أما علاقة الآثار بالجغرافية فهي علاقة قوية وتتضح في تحديد الأقاليم الجغرافية التي تواجد فيها الإنسان القديم وفي بيان الأحوال المناخية ، من حيث الحرارة والرطوبة والجفاف ومعرفة النباتات الطبيعية والحاصلات الزراعية والحيوانات البرية والأليفة ، وقد أخذ علم الآثار مبدأ تعاقب الطبقات من علم الأرض وتظهر صلة علم الأرض بعلم الآثار عند دراسة عمر الصخور في شرفات الأنهار وشواطىء البحار وفي الكهوف التي وجدت فيها عظام الإنسان ومخلفاته ، ويستعان بعلم الأرض لتفسير وجود المواد الأثرية في أماكن بعيدة عن سواحل الأنهار .

وتعتمد دراسات الآثار على علم الإحياء لدراسة عظام الحيوانات المنقرضة وغير المنقرضة ومعرفة النباتات القديمة التي استخدمها الإنسان في طعامه وملبسه وبناء مسكنه .

ويعتمد علم الآثار على الفيزياء والكيمياء للحصول على تاريخ الهياكل العظمية أو تاريخ مخلفاته المصنوعة من مواد عضوية وفي الكشف عن التلف الذي يصيب الآثار ، وفي معالجة الكثير من الآثار التالفة .

ولا يفوتنا التنويه إلى العلاقة الجدلية بين علم الآثار وعلم التاريخ فإذا كان علم الآثار يهتم بالدراسة العلمية لبقايا الحضارات القديمة التي تبدأ مع صنع أول آلة أو مادة صنعها الإنسان فإن علم التاريخ يهتم بدراسة الوقائع التي بدأت مع بداية التدوين واختراع الكتابة قبل خمسة آلاف سنة ، وحتى يومنا هذا .

ـ ٣ ـ

أنواع المواقع الأثرية

تختلف المواقع الأثرية باختلاف طبيعتها والحضارات التي تعود إليها وتاريخ أزمنتها ولكل موقع أثري مزاياه الخاصة به تختلف من موقع إلى آخر ومن دولة إلى أخرى وأهم تلك المواقع هي :

١ ـ الكهـــوف :

الكهوف هي الملاجىء الصخرية الطبيعية التي تكثر في المناطق الجبلية والتي استفاد الإنسان القديم من وجودها فلجأ إليها لحماية نفسه من العدو ومن قسوة البيئة الطبيعية .

إن الأنقاض الموجودة في داخل الكهوف تكوّن نوعاً خاصاً من المواقع الأثرية يتكون من طبقات متعاقبة لأنواع مختلفة من التربة تجمع كل نوع منها بطرق جيولوجية في فترة طويلة جداً من الزمن ، وفي هذه التربة يعثر على جميع المواد التي تركها سكان الكهوف .

٢ ـ التلول الأثرية :

من الحقائق المعروفة أن الناس منذ القدم اختاروا البناء في الموقع الواحد أكثر من مرة ، إذا كان من العسير ترك الموقع لأنه يكلف الكثير من المال والجهد لإعادة البناء ، وكل ما كان يحدث هو أن تمهد الأرض بحيث تصلح لإقامة البناء الجديد ومع تطور الإنسان يتطور البناء ويرتفع . ثم يترك الموقع لأسباب عديدة فتساعد الطبيعة على طمر المباني القديمة وتخلق فوقها روابي

وتلال تغطيها الأتربة والنباتات ، وقد ترتفع هذه التلال إلى أكثر من ٤٠ متراً فوق مستوى الأرض المجاورة على شكل طبقات متعاقبة ، وتكون الطبقة العليا هي المباني التي بنيت أخيراً .

وتنتشر التلول الأثرية في كثير من أنحاء العالم وبصورة خاصة في بلدان الشرق .

تتميز الأنقاض المتراكمة في هذه التلول بلون تربتها الداكنة إذا قورنت مع التربة الطبيعية المجاورة وتنتشر على سطحها كسور الفخار والأدوات المصنوعة من الحجارة والعظام والخشب والمعادن والنقود ، ويستدل من وجودها على سطح التل أنها موجودة في باطنه .

وتبدو هذه المواقع في بعض الأحيان وكأنها قرى غير ثابتة[١] ، سكنها الإنسان القديم عند خروجه من الكهوف في نهاية عصر «البلايستوسين» . وساعدت التطورات التي حصلت في حياة الإنسان القديم على الاستيطان المنظم في مثل هذه القرى التي شيد بيوتها بالطين والقصب وأغصان الأشجار ثم استعمل اللبن والآجر والحجارة الصلدة فيما بعد[٢] .

وأحياناً أخرى تبدو هذه المواقع كبيرة حيث تمثل مدناً صغيرة كانت بداية ظهورها في عصر فجر الكتابة ثم أصبحت من المعالم الواضحة في عصر فجر السلالات حيث غدت المدينة الواحدة مملكة قائمة بنفسها لها سكانها وملكها وقوانينها الخاصة بها ، ومثال ذلك دويلات المدن السومرية أور وأريدو ودويلات المدن الإغريقية مثل أثينا وأسبارطة وطيبة .

وتتميز مواقع المدن بمخلفات مبانيها المتعددة كالبيوت والمعابد والقصور وساحات الرياضة والأسواق والحمامات العامة والخاصة وغيرها من المرافق الأخرى كالكنائس والمساجد التي شيدت في عصور لاحقة .

---

(١) SAFAR. F. and Lioyd. S - Excavations at tell Hassuna P. 172.

(٢) WOOLLEY, L.. - UR. Excavation Vol. IV. P. 2 - 21.

٣ ـ القلاع والحصون :

شيدت القلاع والحصون في أغلب الحالات على حدود الدول والبلدان ويمتاز بناؤها بالضخامة وبوجود الأسوار العالية والأبراج المنيعة لأنها بنيت في الأساس لأغراض حربية ونجد حولها أحياناً الخنادق العميقة والواسعة نذكر من هذه القلاع . قلعة البتراء التي بناها الحوريون واستقر فيها فيما بعد الأنباط في نهاية القرن الثاني ق.م وبمرور الزمن أصبحت البتراء المدينة الرئيسية على طريق القوافل بين الشام والحجاز[١] .

وبنى البارثيون في مدينة الحضر قلعة حصينة ليحمون بها حدود إمبراطوريتهم المجاورة للإمبراطورية الرومانية واشتهرت الحضر بمنعة أسوارها ومتانة تحصيناتها إذ كان يحيطها سور خارجي بني باللبن بلغ قطره ثلاثة كلم . يليه بعد ساحة مكشوفة سور رئيسي ضخم بني بالحجارة المهندمة ، وبنيت في هذا السور أبراج مستطيلة الشكل وأحيط بخندق بلغ عرضه ٢٥ قدماً[٢] .

وشيد العرب على حدود دولتهم الواسعة الكثير من الحصون والقلاع التي استخدمت لأغراض عسكرية وأغراض أخرى دينية .

٤ ـ المدافن :

تشمل المدافن أنواعاً مختلفة من القبور توجد داخل القرى والمدن أو خارجها وتتميز بالمباني الظاهرة على سطح الأرض كالأهرامات[٣] والأبراج والقباب والمصاطب[٤] وشواهد القبور القائمة والمسطحة التي لا تتميز إذ كانت مستوية على سطح الأرض .

وبعض المدافن تكون على شكل نواويس أو جرار فخارية مطمورة داخل

---

(١) KENNEDY. A. PETRA, its history and monument P. 42.

(٢) انظر مجلة سومر ، العدد ٧ عام ١٩٥١ ، ص ١٠٦ .
العدد ٨ عام ١٩٥٢ ص ٣٧ .

(٣) EDWARDS - I.. - The Pyramids of Egypt. P. 35.

(٤) GHIRSHMAN. R. Iran - P. 160.

الأرض نحتاج للكشف عنها إلى معاول الحفارين وقد يستدل على هذه المدافن من خلال الكتب التاريخية التي تتحدث عنها أو بدليل أثري وجد على سطح المدفن أو بالقرب منه .

٥ ـ النصب التذكارية :

النصب التذكارية هي العلامات التي أقامها الملوك والقادة والأبطال لتسجيل أعمال تستحق التخليد كالانتصار في الحروب أو بعض المآثر الخالدة التي قاموا بها ، ومثال ذلك النصب التذكاري المعروف بحجر بهستون الموجود على قمة جبل من الجبال الممتدة بين كرمنشا وهمدان في إيران ويعود هذا النصب للملك الفارسي دارا الأول دوَّن فيه أعماله الحربية التي انتهت بالقضاء على الحركات الثورية المحلية التي حدثت في عهده وقد سجلت هذه الأخبار بالخط المسماري الإخميني والعيلامي والبابلي[١] .

وسجل «سنفرع» أول ملوك السلالة الرابعة في مصر على منحوتة صخرية في سيناء ، أخبار حملته المظفرة التي أرسلها إلى هناك للقضاء على أحد رؤساء القبائل المتمردين على السلطة المركزية[٢] .

وهناك الكثير من النصب التذكارية الموزعة في مختلف أنحاء العالم لا مجال لذكرها جميعها منها النصب التذكارية الموجودة على ضفاف نهر الكلب في لبنان وأهمها ذلك النصب الذي يسجل تاريخ استقلال لبنان .

٦ ـ شرفات الأنهار :

منذ القدم استوطن الإنسان على ضفاف الأنهار وبنى بالقرب منها مستوطناته ومن المعروف أنه كلما عمّق النهر مجراه ضاق الوادي وانحسرت المياه على الجانبين مم يضطر الإنسان لأن يتبع مياه النهر ليبقى قريباً منها تاركاً

---

(١) ROGERS - R - A. History of Babylon and Assyria, Vol. 1, P. 61.

(٢) SMITH - W. Ancient Egypt, P. 21.

والدباغ تقي : طرق التنقيبات الأثرية ص ٦٧ .

وراءه مخلفاته في مستوطناته القديمة وهكذا نرى أقدم الآثار بعيدة عن المجرى الحديث للنهر وعلى منسوب أكثر ارتفاعاً من منسوب واديه الحالي . وخير مثال على ذلك شرفات نهر النيل[1] التي وجدت فيها آثار تعود إلى العصور الحجرية القديمة ، ففي الشرفة (٣٠ متراً) وجدت آثار «أبفيليـة» الطراز . وفي الشرفة (١٥ متراً) وجدت آثار من العصر «الأشولي» . وفي الشرفة (٩ أمتار) وجدت آثار «موستيرية» من صنع إنسان «نياندرتال» القديم .

ووجدت آثار حجرية في شرفات الأنهار والجداول في آسيا الصغرى والشرق الأقصى .

---

(١) HUZAYYIN. S. The place of Egypt. In prehistory.

عن الدباغ تقي ـ المصدر السابق ، ص ٦٩ .

الفصل الثاني

١ ـ التنقيبات الأثرية في الوطن العربي .
٢ ـ مفهوم التنقيبات الأثرية .

- ١ -

التنقيبات الأثرية في الوطن العربي

قبل بداية البحث عن تاريخ الحضارات القديمة بالتنقيبات ، لم يكن يعرف عن تلك الحضارات ، سوى أخبار متفرقة ، ورد بعضها في الكتب السماوية ، وفي مقدمتها التوراة والقرآن وورد البعض الآخر في روايات المؤرخين الكلاسيكين اليونان والرومان ومنهم «هيردوتس» و «دنيس» في القرن الخامس قبل الميلاد .

وقبل أن تبدأ التنقيبات الفعلية في مواطن الحضارات القديمة ، بدأ الغرب يتعرف على أحوال بلدان الشرق عن طريق الرحالة والسياح والتجار ، الذين شرعوا يأمون البلاد الشرقية ومنها البلدان العربية ، منذ القرن الثاني عشر ، حيث كانت البدايات الأولى عام (١١٦٠ م) مع رحلة «بنيامين التطلي» من إسبانيا إلى الشرق مروراً بإيطاليا واليونان وقبرص حتى فلسطين والعراق حيث زار مدينة نينوى الأشورية وتعرف على آثارها وذكر لنا الكثير عنها[١] .

وفي عام (١٦٠٦ م) قام «بتروديلا مالا» برحلة إلى الشرق زار خلالها مدينة «بابل» في العراق «وبرسيبولس» في جنوب إيران ، ونقل معه إلى أوروبا نماذج من الكتابات المسمارية من تلك المدينتن[٢] .

(١) باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة . ص ١١٣ .
(٢) الدباغ : المصدر السابق ، ص ٢٥ .

وفي نهاية القرن الثامن عشر ، زار الرحالة الدانمركي «نيبور» بلاد الهند وإيران والعراق ، ونقل لنا صورة واضحة عن آثار تلك البلاد وأحوالها الاجتماعية[1] .

ومع بدايات القرن التاسع عشر ارتبط التنقيب عن الآثار في المنطقة العربية بأطماع الدول الأوروبية بثروات المنطقة وموقعها الحيوي ، كما ارتبط برغبة تلك الدول لإغناء متاحفها ومجاميعها الغنية بنتاج حضارة الوطن العربي . فبدأ البحث عن الآثار على أيدي عدد من التجار والمغامرين والدبلوماسيين والمرافقين للحملات العسكرية في المنطقة .

ففي حملة نابليون على مصر التي فشلت في احتلالها عام ١٧٩٨ م ، إلا أنها حققت نجاحات في مجالات أخرى إذ رافقت الحملة إلى مصر بعثة علمية ، كان من أبرز أعمالها دراسة وتوثيق آثار وجغرافية مصر ، وكان من بين أعضائها البارزين «جان شامبليون» الذي استطاع أن يقدم للعالم مفتاحاً لحل رموز الكتابة الهيروغليفية بعد تحليل كتابات حجر رشيد الذي عثر عليه قرب مدينة الإسكندرية أثناء تشييد مبنى لثكنة عسكرية[2] ، وكان هذا الحجر يحمل نصاً واحداً باللغات الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية[*] ، وقد تمخض عن أعمال البعثة العلمية الفرنسية تأسيس المعهد المصري ـ الفرنسي ، وهو أول معهد بحوث أجنبي يقام على الأرض العربية . وفي هذه الفترة أيضاً ظهر ما يعرف بعلم الآثار المصرية (EGYPTOLOGY) في عام ١٨٢٢ بعد التمكن من حل رموز الكتابة الهيروغليفية[3] .

وفي عام ١٨٢٨ م تم اكتشاف العديد من الآثار المصرية على يد باحثين

---

(١) الدباغ ـ المصدر السابق ، ص ٢٥ .

(٢) أبو الصوف بهنام : دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق (بحث في حضارة العراق جـ ١ ص ٥٨) .

(*) حجر رشيد من البازلت الأسود نقل عام ١٨٠١ إلى المتحف البريطاني .

(٣) حضارة العراق : الجزء الأول ، ص ٦٠ ـ ٦١ .

فرنسيين منهم «شامبليون» . و «ليسيوس» الذي أجرى مسوحات واسعة لمواقع أثرية في منطقة النوبة ومناطق أخرى تقع جنوب الخرطوم ، ونشر بحوثاً عديدة عن وادي النيل أهمها البحث المعروف «مصر القديمة تحت حكم الفراعنة»[1] .

ويبقى «شامبليون» الباحث العلمي الأول الذي اهتم بالحضارة المصرية وألّف بحوثاً عديدة عنها نشرت بعد وفاته عام ١٨٣٢ م .

وبعد فترة وجيزة سعت الدولتان إنكلترا وفرنسا إلى تحقيق مصالحهما الحيوية في المنطقة بأساليب وطرق سلمية بعيدة عن التصادم المسلح ، فأرسلتا مبعوثين دبلوماسيين لهما إلى المنطقة ، وكان اختيار هؤلاء المبعوثين يتم على أساس الثقافة العالية والإطلاع الواسع على حضارة الشرق وعاداته وتقاليده ولغاته وتاريخه .

من هؤلاء المبعوثين «كلوديس ريج» المقيم الذي عينته شركة الهند الشرقية البريطانية في بغداد الذي قام ببعض الحفريات الأثرية في كل من بابل وأشور وكان من أبرز أعماله في بابل . خارطته الطوبوغرافية للمدينة التاريخية التي أصبحت مرجعاً مهماً للتعرف على الآثار الشاخصة للمدينة .

وفي عام ١٨٣٥ م أرسل الملك وليام الرابع بعثة مجهزة بأفضل الوسائل العلمية لإجراء مسح شامل لمجرى نهري دجلة والفرات للتعرف على إمكانية الملاحة فيهما ، وكان من بين أعضاء البعثة الطبيب الجراح «أينسورث» وكان أثارياً هاوياً وخبيراً بالجيولوجيا فجمع معلومات واسعة عن طوبوغرافية وآثار المناطق التي مرّت بها البعثة العلمية ، كما دوّن الكثير من الملاحظات التي فسرها في ضوء تضلعه بالتوراة واطلاعه الواسع على كتابات مؤرخي اليونان والرومان والعرب القدامى[2] .

وكان لكتابات «ريج» و «أينسورث» وغيرهم من الرحالة الأجانب الأثر

---

(١) الدباغ : المصدر السابق ـ ص ٢٦ .

(٢) حضارة العراق ـ جـ ١ ـ ص ٦٠ ـ ٦١ .

الكبير في تطلع العديد من الأوساط الأوروبية وحماسها لآثار الشرق وإقبالها على اقتنائها ، ورصد الأموال لمن يتقدم للحفر في مواطن الحضارات القديمة وقد زاد من هذا الحماس ، رغبة العديد من الجمعيات الدينية والشخصيات المعنية بتحقيق ما ورد بالتوراة من أقوال وحوادث وأسماء ذكرت في أسفار العهد القديم ، كما اهتم آخرون بالتحقق فيما ورد في كتابات المؤرخين الكلاسيكين أمثال «هيرودتس» و «زنيفون» وغيرهم من الرحالة القدامى[١] .

هذه كانت الخلفية التي أدت إلى قيام المرحلة التالية من أعمال الحفر والتنقيب السريع وغير العلمي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي عدد من القناصل والهواة الذين لم تكن لهم أية معرفة سابقة بطرق التنقيب وأصوله .

وأرسلت بريطانيا العالم الإنكليزي «رولنسون» إلى المنطقة الذي يعود الفضل له في حل نقوش منحوتة «بهستون» الشهيرة . وكانت هذه النقوش عبارة عن نصب تذكاري يرجع إلى زمن الملك دارا الأول ويتضمن النص كتابات دونت بثلاث لغات هي : الفارسية القديمة والعيلامية والبابلية[٢] .

وأرسلت فرنسا «إميل بوتا» الذي عمل عضواً في القنصلية الفرنسية في مصر ثم نقل إلى الموصل في العراق ونقّب خلال وجوده هناك عن الآثار الأشورية في مدينة نينوى ثم انتقل إلى العاصمة الثانية لأشور مدينة خرساباد .

وفي عام ١٨٤٦ وصلت فرنسا أول وجبة من المنحوتات الأشورية حيث استقرت في متحف اللوفر بباريس[٣] .

هكذا ربح اللوفر أجمل مقتنياته من نفائس النحت الأشوري وخسرت قصور ومعابد نينوى وخرساباد روائع الفن الإنساني القديم .

---

(١) VIEYRA. M. Les assyriens P. 5.

(٢) COTTRELL. L. Dictionnaire encyclopedique arecheologic P. 453 - 54.

(٣) حضارة العراق ـ جـ ١ ـ ص ٦٣ .

لم يرق للإنكليز ترك الفرنسيين وحدهم ينهبون ما شاؤا من قصور الأشوريين ومعابدهم ، كما عزّ على المتحف البريطاني أن ينفرد متحف اللوفر وحده بامتلاك روائع الفن الأشوري .

فكلف السفير البريطاني في اسطنبول «هنري لايرد» بالذهاب إلى الموصل عام ١٨٤٠ م فقام بحفرياته في نينوى ونمرود ونهب ما تبقى من المنحوتات الأشورية وأرسلها إلى المتحف البريطاني .

وبدأ التنافس فيما بعد بين الإنكليز والفرنسين على نهب آثار الشرق وتحفه . فتوالت البعثات الأثرية إلى المنطقة والتي لم تقتصر على مصر والعراق بل شملت أيضاً فلسطين وبلاد الشام ولبنان .

فقد أرسلت إحدى الجميعات البريطانية التي تهتم بمواطن الحضارات القديمة بعض العسكريين لدراسة أحوال المنطقة في فلسطين من مختلف النواحي الاجتماعية والتاريخية والأثرية وبعد تحقيق هذه الدراسة تم إرسال السير «فلاندرزبتري» الذي قام بحفرياته في تل الحصن وتبعه «ديكّي» ليحفر في مدينة القدس ثم توالى على فلسطين عدد من الباحثين عن الآثار ليس فقط من بريطانيا بل من المانيا وأمريكا وغيرها من الدول الغربية .

كما اصطحب الفرنسيون في حملتهم إلى لبنان وسوريا الكثير من العلماء والباحثين عن الآثار وقاموا بعمليات المسح الأثري في صور وصيدا وجبيل وأرواد .

ونهبوا بعض الآثار والتحف التي أرسلت إلى متحف اللوفر .

وفي عام ١٨٧٧ م ظهر منافس آخر لمتاحف أوروبا هو «حمدي بك» مدير المتحف الإمبراطوري في اسطنبول ولكي يؤمن لهذا المتحف أكبر عدد ممكن من الآثار والقطع الفنية استخدم نفوذه لإصدار أول نظام للآثار في أرجاء الإمبراطورية العثمانية يقضي بتقاسم الآثار بين البعثات الأجنبية والسلطة العثمانية[1] .

---

(١) حضارة العراق ـ جـ ١ ـ ص ٧٠ .

فقامت حفريات مشتركة في فلسطين ولبنان وسوريا كانت نتائجها تقاسم ما عثر عليه من آثار بين فرنسا والسلطنة العثمانية .

وهكذا وصلت مجاميع كبيرة من الآثار إلى متحف اسطنبول فأصبح واحداً من أغنى متاحف العالم .

ثم توالت على المنطقة بعثات المانية وأمريكية ودانمركية حتى لنجد أنه أصبح لكل بلد غربي بعثة تنقب عن الآثار هنا أو هناك من مناطق وطننا العربي ، واستمر الحال كما هو عليه حتى قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ فتوقفت أعمال التنقيبات الآثارية الأجنبية لتبدأ من جديد بعد انتهاء الحرب .

ـ ٢ ـ
مفهوم التنقيبات الأثرية

تأتي التنقيبات الأثرية في مقدمة الوسائل التي يجمع بواسطتها الباحث التاريخي مصادره عن التاريخ القديم والوسيط ، سواءً كانت تلك المصادر بقايا مادية ، كالأبنية والتماثيل والأدوات والآلات والأسلحة والنقود والأختام وغيرها ، أم المصادر المدونة بالخطوط القديمة كالخط الهيروغليفي والمسماري والخطوط اليونانية والرومانية والخطوط العربية القديمة وغيرها .

وتزودنا التنقيبات الأثرية بمعلومات مهمة عن عصور ما قبل التاريخ وذلك عن طريق دراسة البقايا المادية ، على اختلاف أنواعها ويمكن من خلال بقايا الهياكل العظمية البشرية والحيوانية الاستدلال على الأنواع والأجناس البشرية والحيوانية المختلفة .

وفي حالة بقايا النباتات يستطيع الباحث أن يستنتج أموراً مهمة عن حالة المناخ التي أثرت تأثيراً واضحاً في حياة الجماعات البشرية القديمة وفي سير تطورها الحضاري .

والباحث عن الآثار يسعى في عمله إلى تحقيق أمرين أساسيين هما :

١ ـ الكشف عن مخلفات الماضي بأفضل الوسائل العلمية وأحدثها .

٢ ـ دراسة وتحليل هذه المخلفات وتقديمها للمؤرخ مادة خام ، لكتابة

التاريخ ومعرفة أحوال الشعوب القديمة[1] .

من هنا تأتي أهمية موضوع التنقيبات الأثرية التي بدأت مراحلها الأولى حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، وكان الناس قبل هذا التاريخ يستخدمون الحفر العشوائي للحصول على الآثار والتحف دون الالتفات إلى طرق الحفر الصحيحة ودون العناية بالآثار الدقيقة والبقايا الأثرية التي لا تثير اهتمامهم .

وقبل هذه الفترة أيضاً لم يهتم المنقبون بضبط الطبقات المتراكمة على بعضها في باطن التلول الأثرية ، ولا بالأدوار الحضارية المتعاقبة ، ولا بتخطيط المباني المكتشفة ، ولم يميزوا بين الجدران المبنية باللبن وبين الأنقاض المطمورة فيها ولم يعرفوا أصول استخراج الآثار الدقيقة وحفظها سالمة ولا طرق تصنيفها ومعالجتها وتسجيلها ، لأن هدفهم كان محصوراً باستخراج الآثار الثمينة ، كالتماثيل والحلي والمسلات الحجرية . في الوقت الذي نجد أن عدد كبير من الباحثين عن الآثار في المراحل السابقة لم يكن لهم أية علاقة بعلم الآثار وطرق التنقيبات الأثرية .

واليوم نجد أن التنقيبات الأثرية الحديثة أصبحت تهتم بتوزيع أعمال التنقيب على ذوي الاختصاص من علماء الآثار والمهندسين والمساحين والمسجلين والجيولوجيين والرسامين والمصورين والمهتمين بالكتابات القديمة وغيرهم من المختصين .

وتتجه التنقيبات الحديثة نحو ضبط الطبقات (STRATIGRAPHY) وضبط الأدوار التاريخية (CHRONOLOGY) ونحو العناية بتسجيل كل الآثار الدقيقة وكتابة الملاحظات المفصلة عنها ووضع الرسوم لها وتصويرها ومن ثم توثيقها .

ويمكن القول إن طور التنقيبات العلمية الذي بدأ في أواخر القرن التاسع

---

(١) أبو الصوف ـ بهنام ـ المصدر السابق ص ٥٧ .

عشر ، استمر في تطور وتقدم مطردين بحيث يمكن تقسيمه إلى أدوار متميزة في تقدم أساليب التنقيب ونوع الدور الحضاري الذي وجه إليه الباحثون اهتمامهم كالدور الأول : الذي يمكن تحديد نهايته في أواخر الحرب العالمية الأولى ، والذي اقتصرت فيه محاولات المنقبين على البحث والتحري والحفر في المدن التاريخية الكبيرة والمشهورة وعلى الأدوار التاريخية البارزة التي أعقبت عصور ما قبل التاريخ .

أما الدور الثاني : من أدوار تطور التنقيبات العلمية فإنه يمتد ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى ونهاية الحرب العالمية الثانية ويتميز باتساع أعمال التنقيبات وتقدم أساليبها ، واهتمام الباحثين وعلماء الآثار والمعاهد العلمية إلى العصور القديمة التي تسبق عصر نضج الحضارة في مطلع الألف الثالث ق.م فتناولت أدوار ما قبل التاريخ التي سبقت مرحلة التدوين التاريخي والتطور الحضاري .

أما الدور الثالث فيبدأ من نهاية الحرب العالمية الثانية أما حدّه الأعلى فهو غير ثابت حيث أن التنقيبات ووسائلها ازدادت وتوسعت وهي في تطور دائم حتى وقتنا هذا وفي هذه المرحلة ، ازداد اهتمام العلماء في تتبع عصور ما قبل التاريخ وأقدمها العصور الحجرية ، كما اتسعت دراسة الباحثين في تفسير أصول الحضارات وتحديد أزمان أدوارها وعهودها ، واستعان الباحثون في السنوات الأخيرة بمعطيات العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء والبحوث الذرية في تحديد الأدوار الحضارية ونظمت العلاقات ما بين بعثات التنقيب الأجنبية وبين مؤسسات الآثار الوطنية ، وأخذ الاتجاه في قوانين الآثار في بلدان الشرق الأدنى والبلاد العربية يجعل حق البعثات الأجنبية مقتصراً على النشر العلمي فقط دون السماح لها بالتصرف بما يعثر عليه من تحف وآثار ، وتلزمها أيضاً باستخدام الأساليب العلمية في الحفر وبضمنها التسجيل ومعالجة الآثار وصيانة المواقع الأثرية وغيرها من القوانين الأخرى التي تحمي الآثار وتحافظ على تراث الوطن دون التفريط بمصادره المادية وكنوزه الثمينة .

وتميز هذا الدور أيضاً بظهور المعاهد العالية والأقسام ضمن الجامعات التي يدرس فيها علم الآثار وطرق التنقيبات وكل ما له علاقة بهذا العلم . وقد تخرج عدد لا بأس به من الكوادر الفنية في هذا الحقل ، مما دفع مؤسسات الآثار الوطنية إلى مباشرة عملية التنقيب بنفسها مما زاد الاهتمام في الحفاظ على البقايا الأثرية وصيانتها .

وفي هذه المرحلة أيضاً برز ظهور المتاحف الوطنية والعلمية التي لم يقتصر دورها على خزن التحف والبقايا الأثرية وإنما أصبحت مراكز علمية وحضارية تساهم في تطوير ثقافة الشعوب وازدهار علومها في خلق جيل يهتم بتراثه وحضارة أمته .

الفصل الثالث

١ ـ الكشف عن الآثار .

٢ ـ المعلومات المطلوبة من الكشف .

٣ ـ أهداف التنقيب عن الآثار .

٤ ـ طرق التنقيبات العلمية .

١ ـ تأليف هيئة التنقيب .

٢ ـ عدة التنقيب .

— ١ —

الكشف عن الآثار

إن الخطوة الأولى التي تسبق وضع خطة عامة للحفر ، هي قيام المختصين ، بالتفتيش الدقيق في المنطقة التي يراد الحفر فيها ، ويستلزم هذا التفتيش السير على القدم في كل شبر من تلك المنطقة ، لجمع ما تيسر جمعه من اللقى الأثرية الصغيرة بهدف تحديد مكان الآثار وتعيين طبيعتها وتقدير أهميتها ، لاختيار أكثر المواقع إنتاجاً وأقلها كلفةً .

والطريقة المفيدة في التفتيش تنطوي على تقسيم هيئة الكشف إلى مجموعات ، تتألف الواحدة منها من عضوين أو ثلاثة أعضاء ، ويعهد إلى كل مجموعة ، البحث في قسم معين من المنطقة ، توضح حدوده على خريطة خاصة تعد لهذا الغرض ، وتبرز ضرورة الاهتمام بالمواد الأثرية التي يعثر عليها من حيث تسجيلها وتصويرها ووصفها .

أما الآلات والأدوات الضرورية للباحث في هذه المرحلة فيجب أن تكون قليلة العدد وخفيفة الوزن ، بحيث يسهل حملها ، كالبوصلة لمعرفة الاتجاهات ، وشريط لقياس الأبعاد ومعول صغير لإجراء حفريات مستعجلة ، وآلة تصوير ومسطار للحفر وفرشة صغيرة لتنظيف اللقى الأثرية ، وأكياس لجمع اللقى الأثرية ومواد قرطاسية وبعض الأدوات الضرورية الأخرى .

ولا ينتهي واجب المفتش عند جمع اللقى الأثرية بل عليه أن يبين جميع المعلومات الضرورية عن المواقع الأثرية التي يكشفها أثناء جولته التفتيشية .

ـ ٢ ـ
المعلومات المطلوبة من الكشف

١ ـ تحديد الموقع الجغرافي واسمه : يجب تحديد مكان الموقع الأثري المراد التنقيب فيه تحديد الدولة والمدينة أو القرية أو أي منطقة أخرى موجود فيها مع تحديد الحدود الجغرافية للموقع واسمه .

٢ ـ وصف الموقع : كأن يكون أطلالاً لمدينة صغيرة أو كبيرة أو نصباً تذكارياً أو تلاً ترابياً أو مقبرة أو كهفاً في جبل ، مع وصف طبيعة الموقع ، هل يسهل الوصول إليه ؟ أهو قريب من خط المواصلات ، ومن مورد المياه العذب لاستعماله من قبل هيئة التنقيب ، وذكر العقبات إن وجدت .

٣ ـ تحديد ارتفاع الموقع : عن سطح البحر ، ومعرفة قياساته وأبعاده بالنسبة للمنطقة المحيطة به .

٤ ـ تحديد النباتات الطبيعية : التي تنمو على سطح الموقع أو بالقرب منه ، التي من شأنها أن تربط الماضي بالحاضر ، من حيث المناخ ونوع الطعام الذي كان يستعمله سكان الموقع القدماء . بعد مقارنتها ببقايا النباتات والحاصلات الزراعية المستخرجة من الموقع .

٥ ـ تحديد حالة الموقع : هل هي طبيعية لم يطرأ عليها أي تغيير بفعل الكوارث الطبيعية كالزلازل والفياضانات ، أو بفعل الإنسان كالتدمير والتخريب أو بسبب الحروب أو السرقة وغيرها .

٦ ـ تحديد تربة الموقع : هل هي صلبة أو هشة وذلك لتهيئة الآلات الضرورية في الحفر ، إذ إن لكل موقع أدواته الخاصة للحفر حسب صلابته أو طراوته .

٧ ـ ذكر الآثار البارزة في الموقع : كأطلال المباني والنقوش واللقى الأثرية البارزة ، مع وصفها وتحديد أشكالها وطرزها والعصر الذي تنتمي إليه . وذلك لمعرفة طبيعة الموقع والعصر الذي يعود إليه .

٨ ـ ذكر المصادر التي تتحدث عن الموقع : كالكتب والمقالات والنشرات والبحوث التي لها علاقة بالموقع أو المنطقة التي تشملها خطة التنقيب من النواحي التاريخية والجغرافية والجيولوجية والأنثروبولوجية .

٩ ـ معلومات أخرى : وتشتمل قائمة بالمواد المكتشفة ، وتقرير عام عن الموقع يضعه رئيس المفتشين يتضمن جميع المعلومات التي حصل عليها أثناء التفتيش قبل عملية الحفر .

ـ ٣ ـ
أهداف التنقيب عن الآثار

تختلف أهداف التنقيب عن الآثار من موقع إلى آخر ولكل موقع معين أغراض معينة يهدف إليها المنقب ويمكن تلخيص هذه الأغراض بما يلي :

١ ـ لإنقاذ الآثار :

يجري التنقيب لإنقاذ الآثار المعرضة للهدم عند إقامة المشاريع الضخمة كفتح الطرق والقنوات وتشييد الدور أو الآثار المعرضة للغرق عند بناء الري كالسدود والبحيرات الاصطناعية وغيرها من المشاريع الأخرى ، وفي هذا الصدد نذكر الأعمال التي قامت بها حكومة جمهورية مصر العربية ومنظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة لإنقاذ آثار النوبة التي كانت معرضة للغرق في مياه سد أسوان إلى الأبد .

ونذكر أيضاً ما تقوم به الحكومة اللبنانية من عملية إنقاذ للآثار في مدينة بيروت قبل إعادة إعمارها .

ولا بد أن نشير أنه في حالة القيام بحملة لإنقاذ الآثار المعرضة للأخطار يجب اختيار أكثرها أهمية وأكثرها عرضة للتدمير ، وعامل الزمن له تأثير قوي في هذا الاختيار ويجب التعجيل لإنقاذ الآثار قبل حدوث التدمير . أما الآثار التي لا يمكن إنقاذها فيجب تسجيل جميع المعلومات الضرورية عنها مقرونة بالرسوم والمخططات والصور .

٢ ـ لاستجلاء مظاهر حضارية :

يهدف الباحث الآثاري إلى التعرف على الحضارات القديمة وسير تطورها بعد دراسة مخلفاتها ـ فهو يستطيع مثلاً بعد دراسة الآلة التي صنعها الإنسان القديم أن يعرف كيفية صنعها واستعمالها ودرجة المهارة اللازمة لعملها والغرض من صنعها ، ويستطيع أحياناً أن يقدّر تاريخها .

ومن الممكن اعتبار المواد الأثرية كالأدوات والأسلحة ومخلفات المباني وبقايا النباتات والحيوانات التي عاصرها الإنسان ، انعكاسات لحضارات الشعوب القديمة .

فإذا كان القصد من الحفر استجلاء مظاهر حضارية ، فيفضل في هذه الحالة اختيار تل أثري مرتفع وواسع لأن مثل هذا التل تتوفر فيه فرص وجود طبقات السكن المتتالية مما يسهل توضيح تطور الحضارات في أزمان متعاقبة[1] .

٣ ـ لاستيضاح قضايا مبهمة :

ترد في بعض الأحيان معلومات معينة في كتب التاريخ أو على رقم طينية أو على نصب تذكارية تتحدث عن وجود آثار معينة غير مكتشفة فيجري البحث عنها ، ونذكر على سبيل المثال . التنقيبات التي أجرتها بعثة أمريكية من جامعة شيكاغو وجامعة بنسلفانيا في مدينة «نفر» السومرية لاستظهار معبد الإله انليل وزوجته ننليل ، إذ ورد ذكر هذا المعبد في رقم طينية وجدت في زمن سابق في نفس الموقع .

وأسفرت حفريات البعثة عن كشف المعبد المطلوب إضافة إلى معابد أخرى واكتشافات أثرية جديدة .

٤ ـ لحل مشكلة معينة :

في بعض الأحيان يجد الباحث عن الآثار أو التاريخ بعض الثغرات في

(١) الدباغ ـ المصدر السابق ص ٨٩ .

مسيرة حضارة معينة أو حلقة مفقودة من حلقات التاريخ مما يستدعي الحصول على معلومات جديدة لسد تلك الثغرات فيجري البحث عن الآثار التي يمكن أن تبين لنا العصر المجهول ، أو للتأكد من آثار دور من الأدوار وفي مثل هذه الحالات يفضل الحفر في عدة مواقع لمقارنة آثارها بآثار العصر السابق واللاحق للوصول إلى الحقيقة .

٥ ـ لتدريب طلاب الآثار :

تجري التنقيبات أحياناً لتدريب طلاب بالآثار لاكتساب الخبرات والمهارات اللازمة في عملية الحفر لتهيئتهم مستقبلاً للقيام بحفريات علمية في مواقع مختلفة ، ويتم هذا التدريب بإشراف مدير هيئة التنقيب ، وفي هذه الحالة يتم اختيار موقع مشابه لموقع قد تمَّ التنقيب فيه سابقاً حتى ينصرف المسؤول عن التدريب إلى الاهتمام بالتدريبات دون أن يعطي أهمية للموجودات واللقى الأثرية المستخرجة من الموقع . وإذا تعذر القيام بالتدريب في موقع طبيعي عندئذ يعمد إلى إنشاء موقع أثري اصطناعي توضع في داخله بعض اللقى الأثرية من عصور مختلفة تدفن في وضع عمودي وفي طبقات متعاقبة بحيث تمثل تسلسل العصور التي تعود لها ثم تغطى بالتراب . ويبدأ الطلاب باستخراجها ، ثم بوصفها ورسمها وتصويرها وإجراء كل ما يلزم كما في الحفريات الطبيعية .

ـ ٤ ـ

طرق التنقيبات العلمية

بعد اختيار الموقع المعّد للتنقيب وتهيئة المبالغ اللازمة للتنقيبات تبدأ عملية التنقيب مروراً بالخطوات التالية .

١ ـ تأليف هيئة التنقيب :

إن هيئة التنقيب سواء كانت تعمل في موقع صغير أم كبير يجب أن تتكوّن من العناصر التالية .

١ ـ المديـر :

يضطلع المدير بأهم المهام في موقع التنقيب فهو المسؤول الأول عن هيئة التنقيب والمشرف على كافة أعمالها لذا يجب أن يتصف بالصفات اللازمة لممارسة وظيفته على أن يكون مطلعاً على مختلف الطرق التي لها علاقة بمهنته لمواجهة المشاكل التي قد تعترضه أثناء العمل والمدير مسؤول عن خطة الحفر وعن أسس العمل منذ الشروع بتنفيذ الخطة وحتى الانتهاء منها وهو المسؤول عن سجلات التنقيب وعليه أن يعرف محتوى تلك السجلات بالإطلاع المستمر على تنفيذ واجبات الهيئة الخاصة بالتسجيل .

وبما أن المدير هو الشخص المسؤول عن التقرير العام يجب أن تكون ملاحظاته دقيقة جداً .

وينتظر من المدير أن تكون لديه خبرة ولو بسيطة بالعمارة وطرز البناء كي

يتعرف على طرز العمارة وطرق البناء لمواقع المدن القديمة إن ظهرت خلال التنقيبات .

ويجدر بالمدير أن يكون ملماً بالرسم والتصوير الفوتوغرافي ليتمكن من متابعة عمل الرسام والمصور للخروج بأفضل النتائج في هذا المجال .

يستحسن أن يكون المدير على علم ومعرفة بالكتابات القديمة . فهو إن لم يستطع قراءة ما يتم العثور عليه من نصوص قديمة فعلى الأقل يمكن له أن يصنف تلك الكتابات ويحدد نوعيتها ، لكي يسلمها للمختصين . لذلك يفضل أن يكون في هيئة التنقيب التي تحفر في المواقع التاريخية القديمة ، عضو مختص بقراءة الكتابات القديمة في الألواح والنصب التذكارية والنقود والأختام على اختلاف أنواعها .

ومن الصفات المهمة التي يجب أن تتوفر في المدير هي : فهمه ومعرفته للمشاكل التي تتعلق بتعاقب الطبقات وتتابع الأزمنة الأثرية ، والربط بين مختلف الدلائل الأثرية التي تلاحظ أثناء الحفر بسرعة ودقة .

أما خلال العمل الميداني فعلى المدير أن يقوم بالواجبات التالية :

عليه أن يكثر التجوال في الموقع الذي تشمله خطة الحفر وأن ينتقل من قطاع لآخر للإطلاع والتوجيه والإرشاد لحظة بلحظة .

وعليه أن يستوعب في ذهنه تطور الحفر من ساعة لأخرى في كافة وحدات الحفر ، وأن يشرف على وضع الخطط وحفر الخنادق وأعمال الرسم والتصوير وتصنيف اللقى الأثرية وخاصة الفخاريات . وأن يفتش القطع الأثرية المكتشفة في كل يوم ويدقق ملاحظات المسجلين والمشرفين .

وعلى المدير أن يحافظ على العلاقات الطيبة بين أعضاء الهيئة للخروج بأفضل النتائج المتوخاة من الحفر في أي موقع من المواقع الأثرية .

٢ ـ مساعد المدير :

ويختار من بين المختصين بالآثار ، وسبق له أن اشترك في كثير من

التنقيبات واكتسب خبرة فائقة في شؤون الحفر وينوب عن المدير في حالة غيابه ، ومن أهم واجباته :

١ ـ تهيئة المكان المناسب لأعضاء الهيئة التنقيبية في مواقع الحفر إذا كان المكان بعيداً عن المناطق السكنية ، وفي هذه الحالة يجب تهيئة الأكواخ والغرف للهيئة قبل الشروع بالعمل ، وتخصص غرفة للإدارة وأخرى للرسم وغرفة مظلمة للتصوير وأخرى لأعمال الفخار . وإذا أمكن غرفة للطعام والاستراحة والإسعافات الأولية .

٢ ـ مساعد المدير مسؤول عن تأمين كافة التجهيزات والآلات التي يحتاج إليها في الموقع بعد أن يؤمن له كافة المتطلبات اللازمة لتأمينها . ومن ضمنها مواد الطعام ومستلزمات الإسعافات الأولية ، ويستحسن أن يتدرب هو على بعض تلك الإسعافات لخدمة أعضاء الهيئة عند الضرورة .

٣ ـ مساعد المدير مسؤول عن كافة المصروفات التي تحتاجها هيئة التنقيب من ضمن تلك المصروفات أجور العمال اليوميين . وكل ما ينفق من نثريات يومية طارئة .

٤ ـ إن الواجب الرئيسي لمساعد المدير هو إدارة العمال والسيطرة عليهم بثبات وحزم وطيب ويراقب حضورهم للعمل وخروجهم منه . والمحافظة على كل موجودات الموقع وضبطها في كل يوم .

٣ ـ المشرفون :

يختلف عدد المشرفين من موقع إلى آخر وكلما كان الموقع كبيراً كلما احتاج إلى عدد أكبر من المشرفين وقد لا نحتاج إلى أي مشرف في بعض المواقع الصغيرة حيث يقوم المدير أو مساعده بالإشراف .

ومهمة المشرفين هي الإشراف على منطقة واحدة من مناطق التنقيب لمراقبة أعمال الحفر وتسجيل الملاحظات ورسم مقاطع الحفر والتأكد من حفظ المواد الأثرية في الأكياس والصناديق حسب الطبقات التي تعود إليها ويكون

المشرف في العادة مسؤولاً عن عدد معين من العمال يتابع أعمالهم ويقدم للمدير تقريراً عن سير العمل الموكول إليه .

يجب أن يتصف المشرفون بالدقة لأن دقة إشرافهم تتوقف عليها دقة التنقيبات الأثرية بشكل متكامل .

٤ ـ المسجل :

يهتم المسجل بتسجيل المادة الأثرية عند اكتشافها وإذا كانت هذه المادة لا تحتاج إلى صيانة وتنظيف توضع مباشرة في صندوق مع ورقة يكتب عليها :

١ ـ اسم الموقع .
٢ ـ رقم الحفرة التي استخرجت منها .
٣ ـ رقم الطبقة .

ومن الضرورة الاحتفاظ بورقة أخرى يكتب عليها المعلومات ذاتها خوفاً من ضياع الورقة الأولى .

وعند الانتهاء من العمل تؤخذ المواد إلى مكان حفظها ثم تحوّل إلى المختبر حيث تنظف وترقم بحبر أسود أو بصبغ أبيض اللوّن وبعد أن يجف الحبر أو الصبغ يغطى الرقم بطبقة من الشمع ويقوم المسجل بعد ذلك بتسجيل المواد في بطاقات ثم تخزن في صناديق لنقلها إلى مكانها المطلوب .

وفي الموقع الذي يعثر فيه على كميات كبيرة من الفخار يستحسن أن يخصص مسجل خاص بالفخارات ومسجل الفخار هو المسؤول عن تصنيف الفخاريات على أساس صناعتها وأشكالها ونقوشها الفنية لتثبيت أدوارها الحضارية .

ولكي يقوم المسجل بهذا الواجب على أكمل وجه لا بد له أن يكون ملماً بدراسة الفخار ومطلعاً على كافة الأنواع الشائعة بالمنطقة الأثرية والتي تم اكتشافها في حفريات سابقة كي يميز التشابه في عناصر الأنواع القديمة والجديدة .

إن دراسة الفخار هي من الدراسات المهمة فهو فضلاً عن أهميته في تأريخ الآثار ، يمثّل أيضاً التقدم الصناعي والفني للإنسان القديم ، كما يمثل توضيح العلاقات بين الجماعات التي استخدمته واستفادت منه .

٥ ـ الرسـام :

يحتاج كل موقع أثري إلى رسام أو أكثر وذلك حسب طبيعة ذلك الموقع .

وفي جميع الأحوال يجب أن يكون الرسام متقناً طريقه رسم الخرائط ومقاطع المباني والقطع الأثرية الصغيرة والأواني الفخارية وكسورها . لكي يوضح لنا بالرسم الآثار المكتشفة بحيث تكون جاهزة للطبع والنشر في التقرير العام عن الحفريات .

٦ ـ المصـور :

ويجب أن تتوفر فيه المقدرة الفنية على التصوير في كافة درجات الضوء وعلى توضيح مختلف الألوان وأخذ الصور من زوايا مختلفة ، ويجدر به أن يكون سريعاً في تظهير الصور فإذا كانت الصور الأولى غير واضحة يستعد للتصوير مرة ثانية قبل أن تنزل الحفريات إلى طبقة ثانية .

ويجب على المصور التجوال في الموقع أثناء التنقيبات لكي يقدم المشورة إلى رئيس الهيئة بخصوص أفضل الظروف للتصوير .

٧ ـ المسـاح :

مهمته تحضير خارطة الارتفاعات المتساوية أو الخارطة الكنتورية وكذلك خطط المباني في التنقيبات الواسعة على مقياس صغير أو كبير .

والمهم أن يكون هذا الرسم دقيقاً للغاية ويقصد بالدقة ضبط الرسم حسب المقياس المقرر كما يقصد به ضبط تعاقب الطبقات .

وقد يحتاج في بعض المواقع إلى مهندس معماري ضليع في رسم مخلفات المباني القديمة التي يتم الكشف عنها خلال التنقيبات الأثرية .

٨ ـ العمـــال :

يؤلف العمال خليطاً غير متجانس الاختصاصات قد يضم الحفارين والحمالين والطلاب الجامعيين المختصين بالآثار . وفي جميع الأحوال يجب على العمال أن يعرفوا طريقة استعمال الآلات والأدوات التي بين أيديهم والتي قد تختلف من موقع إلى آخر ومن بلد إلى آخر .

وأهم ما في الأمر هو إتقان العمال لطريقة الحفر وبدون الإتقان تضيع الجهود والأموال وتتشوه النتائج ، فالخندق الذي يراد حفره ، يجب أن تتوضح حدوده جيداً بالحبال أولاً ثم تحفر جوانبه بشكل عمودي بدقة وعناية ، أما إذا كان الحفر مائلاً يصبح تعاقب الطبقات مرتبكاً ، كما أن الخندق يضيق في السعة كلما نزل الحفر إلى أسفل ، لهذا وجب على المشرفين متابعة الحفر منذ البداية لتصحيح الخطأ لأن تصحيحه فيما بعد يصبح صعباً وغير نافع .

ويجب المحافظة على وضوح جوانب الخندق لكي تبقى معالم الطبقات واضحة على تلك الجوانب .

وعلى رئيس هيئة التنقيب تجنيب تجميع العمال في مكان واحد أثناء العمل لأن هذا التجمع يؤدي إلى الإخلال بضبط التنقيب واللهو وقلة العمل .

* * *

٢ ـ عدة التنقيب :

تتألف عدة التنقيب من مجموعة من الآلات والأدوات التي يتحدد نوعها وعددها حسب طبيعة الموقع وطرق الحفر ووسائل النقل والخزن ، وأكثر الآلات والأدوات شيوعاً التي تستخدم في عمليات التنقيب حسب الحاجات الخاصة بالمسح الهندسي والحفر والمعالجة والتسجيل والتصوير والنشر . تشتمل على ما يلي :

١ ـ المعـاول :

وتشتمـل علـى المعـول (المنكـوش) والـرفـش والجـاروف والفـأس

الجيولوجي (القزمة) وهي أهم آلات الحفر وتستعمل في حفر التراب ونقله وتفتيته وفي تسوية جدران الخنادق وفي إعادة التراب إلى الحفر بعد الانتهاء من التنقيب .

٢ ـ المسطار أو المالج :

يستخدم لاستخراج الآثار الدقيقة وتسوية السطوح ولإزالة كتل التراب من المباني وهياكل العظم الآدمية والمواد الأثرية الصغيرة على اختلاف أنواعها .

٣ ـ المحفار المعدني :

هذا الجهاز عبارة عن اسطوانة معدنية ذات نهاية حادة من جهة ومن الجهة الثانية جانب شفاف يبلغ قطره البوصتين أو الأربع بوصات .

ويستخدم للحصول على نماذج من تربة الموقع لمعرفة ما تحويه من آثار يمكن رؤيتها من الجانب الشفاف . بعد أن ندخل الاسطوانة بطريقة الضغط في الأرض لعمق مترين أو أكثر للحصول على نماذج متعاقبة في محتويات الموقع .

٤ ـ الغـربـال :

ويستعمل لغربلة التراب الذي قد يحتوي على بعض المواد الأثرية الصغيرة ، بهدف الإبقاء على تلك اللقى الصغيرة وهناك أنواع متعددة من الغرابيل منها ذات ثقوب صغيرة وأخرى ذات ثقوب كبيرة ومنها ما يستخدم باليد وآخر كبير ينقل على عجلات وعلى هيئة التنقيب أن تختار المناسب حسب طبيعة الموقع المراد الحفر فيه .

٥ ـ الأوتـاد :

وقد تكون خشبية أو معدنية وتستعمل لضبط الحبال وقياس المسافات بالنسبة إلى نقاط السيطرة .

٦ ـ الحبـال :

تستخدم الحبال لتنظيم المربعات المتشابكة التي يجري الحفر فيها ويفضل أن تكون بيضاء اللون .

٧ ـ العلامات الخشبية :

تكون العلامات الخشبية معروفة القياس وملونة بلونين أبيض وأسود وتوضع قرب المواد الأثرية عند تصويرها وتعتبر مقاساً لتقدير حجم أو طول أو عرض أو ارتفاع المواد والمباني الأثرية المصورة .

٨ ـ البوصلـة :

وتستعمل لتحديد اتجاهات الموقع الطبيعية واتجاه نقاط السيطرة ومخلفات المباني .

٩ ـ الشريط الهندسي للقياس :

يستخدم لضبط المسافات وقد يكون من المعدن أو القماش أو من البلاستيك ويختلف طوله من نوع لآخر ، ويختار منه ما يناسب للموقع .

١٠ ـ الناظـور :

وهو جهاز يستعمل لقراءة المسافات عند رسم الخرائط الخاصة بخطوط الارتفاع المتساوية ولتعيين مكان المواد الأثرية في الموقع .

١١ ـ الشاخص الهندسي :

وهو عمود مقسم إلى وحدات هندسية (أمتار وسنتمترات) ويكون عادة ملون بلونين أسود وأبيض ويستخدم في وضع الخرائط الكنتورية وتعيين مكان المواد الأثرية .

١٢ ـ العدسات المكبرة :

تستعمل لقراءة الألواح والرقم وفحص الأختام والنقوش الدقيقة والمواد الصغيرة .

١٣ ـ آلة التصوير :

وتستعمل لتصوير ما هو ضروري أثناء الحفر .

١٤ ـ مواد القرطاسية :

وتتألف من الدفاتر والأقلام المختلفة والأوراق الخاصة برسم الخرائط والأوراق البيانية لرسم التصاميم والمخططات .

١٥ ـ صناديق خشبية وأكياس :

لحفظ المواد الأثرية عند استخراجها من أماكنها ونقلها إلى مكان آخر .

١٦ ـ بعض المواد الكيماوية :

لتستخدم في معالجة الآثار التي تحتاج إلى معالجتها في الموقع . مثل الجبس والصمغ (سيكوتين) والأستيون وحامض الكلوردريك أو النتريك وغيرها .

١٧ ـ بعض المواد الطبية اللازمة :

لإجراء الإسعافات الأولية لأعضاء هيئة التنقيب إذا تعرض أحدهم لحادث أثناء العمل .

* * *

الفصل الرابع

١ ـ طرق الحفر الأثري .
  ١ ـ طريقة حفر الاختبار .
  ٢ ـ طريقة الخنادق .
  ٣ ـ طريقة المدرجات .
  ٤ ـ طريقة الوحدات .
  ٥ ـ طريقة المباني .
٢ ـ الحفر الأثري المنظم .
٣ ـ التنقيب في المباني القديمة .
٤ ـ تنقيب الفخاريات .
٥ ـ تنقيب المواد الأثرية الصغيرة .
٦ ـ تنقيب المدافن .
٧ ـ التنقيب في الكهوف .

ـ ١ ـ

طرق الحفر الأثري

قبل البدء في عملية الحفر لا بد من تحديد طبيعة الموقع ووضع خريطة الارتفاعات المتساوية التي ترسم وتطبع منها نسخ كثيرة توزع على المعنيين في هيئة التنقيب للاستفادة منها .

ثم يتم تثبيت نقطة السيطرة التي تقاس كافة المسافات والاتجاهات بالنسبة إليها .

ومن الأفضل تثبيت مكان نقطة السيطرة في زاوية من زوايا الموقع ولا يستحسن وضعها وسط الموقع لأن الحفريات قد تزيل وجودها .

وإذا كان قرب الموقع شجرة أو صخرة قائمة في مكان بعيد نسبياً عن منطقة الحفر فلا بأس من وضع نقطة السيطرة هناك وتحدد هذه النقطة بعلامة بشكل خطين متقاطعين داخل مربع أو دائرة ويحبذ تلوينها لتبدو واضحة لتميز بها .

ثم تقسم المنطقة التي يراد الحفر فيها إلى مربعات لتسهيل عملية الحفر ولتعيين مكان الآثار المكتشفة . وبموجب هذه الطريقة تقسم المنطقة إلى أربعة أقسام وذلك بمد خطين متقاطعين تقاطعاً عمودياً ثم تقسم هذه الأقسام إلى وحدات أصغر مساحة بالطريقة ذاتها ، ويحدد طول وعرض هذه الوحدات الصغيرة حسب كبر أو صغر مساحة الموقع .

ويجب تمييز كل مربع برقم أو حرف يسجل على وتد يثبت في زاوية من

الزوايا . ويتم تحديد الوحدات بواسطة حبال تشد بقوة عند وضعها بحيث تكون مستقيمة . بعد الانتهاء من هذه المراحل تبدأ عملية الحفر التي تختلف طرقها من موقع إلى آخر . وأهم هذه الطرق هي :

١ ـ طريقة حفر الاختبار :

نفتح حفر الاختبار في مرحلة التفتيش في أماكن مختلفة من الموقع دون أن يكون لها شكل معين والهدف منها فحص التربة للتأكد من أهميتها الأثرية . تمهيداً للبدء بالتنقيبات أو العدول عنها إذا كانت غير ذات أهمية .

٢ ـ طريقة الخنادق :

تفتح الخنادق حيث توجد اللقى الأثرية الصغيرة وأنقاض المباني الدارسة .

ويفضل أن لا يمتد الخندق باتجاه واحد ويستحسن أن يبدأ الحفر في خندقين متقاطعين (+) أو يلتقيان بنقطة واحدة كالشكل (L) وأكثر الخنادق إنتاجاً هو ما كان على شكل (S) لأن الحفر فيه يمتد إلى عدة اتجاهات .

ويمكن أن يكون الحفر في خنادق على شكل مربعات متصلة أو متتالية يوصل بينها فيما بعد إذا أثمرت .

٣ ـ طريقة المدرجات :

تتبع هذه الطريقة في المناطق الجبلية ذات التربة الصلبة حيث يكون الانحدار شديداً ، ويتم الحفر في منطقة معينة لمسافة عشرة أمتار طولاً ونصف المتر عمقاً ونصف المتر عرضاً ، على أن يحافظ على استقامة واستواء جانب واحد من جوانب هذه المنطقة لملاحظة التغييرات في لون التربة ونوع البناء .

ثم تحفر منطقة أخرى بجوار المنطقة الأولى وباتجاه انحدار التل وبنفس المواصفات . وهكذا حتى الوصول إلى الأرضية الأصلية . فتبدو منطقة

التنقيبات على شكل مدرجات متتالية تنتظم الواحدة فوق الأخرى من الأعلى إلى الأسفل[1] .

٤ ـ طريقة الوحدات :

تتم عملية الحفر وكما ذكرنا سابقاً بموجب مربعات متشابكة ويبدأ الحفر اعتباراً من سطح الأرض وحتى التربة العذراء بشكل تدريجي وفي طبقات متجانسة العمق ويتراوح عمقها بين القدم الواحد والثلاثة أقدام . وعند الانتهاء من التنقيب في إحدى المربعات ينتقل إلى مربع آخر مجاور له وبنفس الطريقة وحتى التربة العذراء أيضاً . ثم تصبح هذه الحفر الصغيرة حفراً كبيرة إلى أن يتم التنقيب في جميع أقسام الموقع .

تساعد هذه الطريقة على ضبط الطبقات وملاحظة التغييرات فيها وتصلح للاستخدام في المناطق السهلية حيث تتوفر التربة الرخّوة .

٥ ـ طريقة المباني :

تستخدم هذه الطريقة في مواقع القرى والمدن الأثرية ذات المساحة الواسعة والتركيب المعقد حيث تتوفر أنقاض الدور السكنية والقصور ودور العبادة وغيرها من المرافق الأخرى .

ويبدأ الحفر في المكان الذي توجد فيه هذه الآثار بارزة ظاهرة للعيان أو عند العثور عليها تحت التراب حتى الوصول إلى نهايتها . ويعتبر هذا العمق طبقة واحدة . تتميز بوجود جدار أو وجود مخلفات بيت أو معبد . وتسمى هذه المخلفات بالجدار الأول أو البيت الأول أو المعبد الأول[2] بدلاً من الطبقة الأولى .

وتتكشف نهاية هذه المخلفات عند الوصول إلى قاعها الذي يتميز بصلابة

---

(١) INGHOLT, Sumer - Vol VII 1957 - P. 214.

(٢) STARR. R. - NUZI, Vol. I - 1939, P. 18 - 30.

عن الدباغ تقي ـ المصدر السابق ص ١٢٩ .

تربته ولونه الداكن أو أحجاره المبلطة ثم يستمر الحفر حتى قاع مخلفات المباني التي توجد تحت مخلفات المباني الأولى لإظهار الجدار أو البيت أو المعبد الثاني فالثالث وهكذا حتى التربة العذراء التي تخلو من الآثار .

إن الحفر في مثل هذه المواقع يتطلب الدقة والصبر والحفر البطيء لأنه في بعض الأحيان يحتاج المنقب إلى البحث عن جدار بني باللبن ويصعب تمييزه عن الأنقاض المجاورة خصوصاً إذا كانت التربة المجاورة للجدار هي نفس طينة اللبن وقد يهدم المنقب هذا الجدار دون علم منه كما حدث في كثير من المواقع الأثرية القديمة في مصر والعراق[1] .

وتأخذ المدن القديمة في الغالب شكل تل مرتفع من الأنقاض ، وإن أفضل طريقة لاستجلاء معالم هذه المدن هو الحفر داخلها ويفضل أن تكون نقطة البداية في وسط المدينة[2] . لأن هذا الوسط يمثل أقصى ارتفاع سكنه الإنسان ، وعند الانتهاء من المنطقة الوسطى تفتح الحفر الاختبارية باتجاهات مختلفة للبحث عن باقي مرافق المدينة وأسوارها التي تعتبر من أبرز خصائص المدن القديمة .

---

(١) الدباغ تقي ـ المصدر نفسه ـ ص ١١٧ .

(٢) WHEELER. M. - Archaeology from the earih 1954 - P. 86.

ـ ٢ ـ

الحفر الأثري المنظم

كان الهدف من التنقيب حتى نهاية القرن التاسع عشر ، هو العثور على تحف أثرية ذات درجة عالية من الأهمية الفنية والمادية لعرضها في القصور أو المتاحف ، مثل التماثيل الكاملة والمنحوتات الجدارية والتحف الذهبية والفضية .

ولم يهتم المنقبون الأوائل بالخزف والفخار والزخارف الجصية واللقى الصغيرة .

من هنا يمكن القول إن التنقيبات الأثرية في مراحلها الأولى لم تتعدى البحث عن الآثار الهامة بنظر المنقبين في تلك الفترة .

وفي مطلع القرن العشرين أصبح للتنقيب عن الآثار أهدافاً أخرى ، غير البحث عن الآثار المهمة . من ضمنها . استجلاء بعض المظاهر الحضارية أو لإنقاذ الآثار أو لحل مشكلة معينة أو استيضاح قضايا مبهمة إضافة إلى تدريب العاملين وطلبة الآثار .

وهذا ما يستدعي اتباع طرق علمية منظمة في التنقيب والبحث عن الآثار ، فأصبح الحفر الأثري الحديث يبدأ من سطح الأرض وحتى التربة البكر بخطوات تدريجية تتناول كل الآثار ، الكبيرة والصغيرة وكل اللقى الأثرية الأخرى كالهياكل العظمية البشرية والحيوانية وبقايا النباتات والحاصلات الزراعية والأحجار وكل ما له علاقة بالآثار بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

ويبدأ الحفر عادة بإزالة الطبقة العليا من التربة التي تجمعت بسبب عوامل

الطبيعة عبر السنين فغطت المواقع الأثرية . ويتراوح سمك هذه التربة ما بين نصف القدم والقدمين وذلك حسب جفاف المنطقة ورطوبتها .

وبعد إزالة هذه التربة يستمر الحفر شاقولياً إلى عمق ما يقارب القدم وعند ذلك يأخذ الحفر اتجاهاً أفقياً لاستخراج الآثار من الأنقاض المتجمعة في هذه البقعة المحفورة .

وإذا وجدت مواد أثرية في تلك الأنقاض يجب ضبط مكانها وتسجيل المعلومات الضرورية عنها وتصويرها حيث وجدت إذا دعت الضرورة .

ثم تحفر مقادير أخرى بنفس الطريقة وتستخرج آثارها وهكذا حتى يبلغ العمق حوالي الثلاثة أقدام ، وعند ذاك تعتبر هذه الأنقاض طبقة أولى ، ثم يستمر الحفر في طبقة ثانية وثالثة حتى التربة البكر والقاع الصخري حيث يتوقف ظهور الآثار .

ولكي يصل المنقب إلى نتائج حسنة عليه أن يلاحظ الأمور التالية :

١ ـ المحافظة على تنظيم زوايا الحفر وجعلها زوايا قائمة قدر الإمكان .

٢ ـ المحافظة على استواء واستقامة الجدران .

٣ ـ المحافظة على استواء الأرضية .

٤ ـ نقل التراب من داخل الحفرة بصورة مستمرة لكي لا تضيع فيها بعض اللقى الأثرية الصغيرة .

٥ ـ التأكد من عدم وجود مواد أثرية في التربة المستخرجة من الحفرة .

٦ ـ تغليف المواد الأثرية المهشمة بإحكام تمهيداً لمعالجتها فيما بعد .

٧ ـ خزن كافة المواد الأثرية التي تعود للطبقة الواحدة قبل البدء بحفر الطبقة الثانية .

٨ ـ تسجيل المواد الأثرية المستخرجة من الحفر فور العثور عليها .

٩ ـ تنظيف كافة المواد الأثرية قبل إرسالها إلى المختبر .

١٠ ـ تنظيف كافة آلات الحفر بعد الانتهاء من التنقيبات .

ـ ٣ ـ

التنقيب في المباني القديمة

إن تنقيب آثار المباني القديمة يحتاج إلى مهارة ودقة لإبرازها ثم حفرها حتى الأرضية الأساسية العذراء وبعد الانتهاء من التنقيب وتسجيل المعلومات الضرورية تجري عملية التنظيف ثم التصوير ورسم المقاطع والخرائط وتهيئة تلك المباني للصيانة إذا كانت تحتاج إلى ذلك .

ويجدر بالمنقب عن آثار المباني أن يدلنا على تاريخ البناء الذي يكتشفه وليس بالضرورة أن يحدد عمره بالسنوات بل على الأقل أن يحدد العصر الذي شيد فيه البناء هذا إذا تعذر تاريخ البناء برقم طيني مكتوب أو وثيقة تاريخية أو قطعة نقد وجدت في أرض الموقع ، وفي هذه الحالة فإن معرفتنا لتأريخه ومحتواه الحضاري يعتمد على تتابع المواد الأثرية في طبقاته ، هذا بالإضافة إلى المميزات الخاصة لكل طبقة تلقي الضوء على التغييرات والتطورات التي مرّ بها البناء . والتنقيبات الدقيقة والملاحظات القوية ، كفيلة بكشف الدلائل الواضحة .

إن أفضل طرق الحفر في مثل هذه المباني هي طريقة المربعات المتشابكة ، وخاصة إذا كانت المباني تعود إلى أدوار حضارية عديدة وتمتد الواحدة فوق الأخرى .

وقد يلاقي المنقبون مشاكل وصعوبات في كثير من المباني التي شيدت بالطين واللبن فقد يحدث على مرور الزمن أن تختلط الجدران بما يحيط بها من

تراب خاصة إذا كانت مصنوعة من نفس التربة ، فيحفر المنقب الجدران ويهدمها بدون قصد .

ويمكن السيطرة على هذه المشكلة بالإشراف الدقيق على الحفر إذ إن لون التربة وملمسها والصوت الذي تخلفه عند اصطدامها بالمعاول والفؤوس هي من العوامل المساعدة التي تنبه الحفار على تمييزها عما حولها .

وهناك طريقة أخرى تساعد الحفارين على تمييز تلك الجدران ، وهي طريقة بسيطة جداً إذ يكفي رش الماء على سطح الأرض وبعد أن تترطب المنطقة التي يراد فيها الحفر يتبين خط فاصل بين التربة الطبيعية وبين الجدران التي تبدو داكنة اللون[١] لما تحويه من رماد وشوائب أخرى .

وفي حال ظهور سطح الجدار فإن على الحفار أن يتأكد من طبقة الطين التي طلي بها الجدار ويحاول المحافظة عليها وإذا لم يعثر على هذه الطبقة فينبغي إزالة بقايا الطين والتراب العالقة بالجدران بواسطة فرشاة وسكين فتصبح الجدران واضحة للعيان .

وبعد الانتهاء من حفر كل مرحلة من مراحل التنقيب ومن الحفريات عامة على رئيس هيئة التنقيب اتخاذ الإجراءات التالية :

١ ـ تنظيف مخلفات المباني من التراب والأنقاض .
٢ ـ تصوير هذه المخلفات مع الآثار المهمة الموجودة بداخلها .
٣ ـ رسم تصاميم المباني كل على حدة .
٤ ـ رسم خريطة لمباني الموقع جميعها .
٥ ـ رسم المخلفات الأثرية الصغيرة .
٦ ـ ذكر الأهمية الأثرية لهذه المباني .

إن هذه المعلومات مطلوبة لإعداد التقرير العام الذي يجب أن ينشر فيما

(١) الدباغ ـ تقي ـ المصدر السابق ـ ص ١٣٦ .

بعد عن الحفريات ويمكن تلخيص هذه المعلومات بالنقاط التالية :

١ ـ اسم الموقع .

٢ ـ عدد المخلفات ـ (كم غرفة أو قاعة أو أي مرفق آخر) .

٣ ـ نوع المخلفات ـ الجدران والمواد التي استخدمت في البناء .

٤ ـ عمق المباني ـ ذكر عمقها بالأمتار عن سطح الأرض .

٥ ـ عدد الطبقات ـ ذكر الطبقة التي وجدت فيها المباني .

٦ ـ عدد وحدات الحفر في الموقع .

٧ ـ الآثار الملحقة ـ على سبيل المثال : موقد ـ هيكل عظمي ـ كسور فخارية ـ نقود وغيرها .

٨ ـ مقاسات المباني ـ مع تحديد قياس كل مرفق على حدة .

٩ ـ ذكر طبيعة الموقع ـ (مخلفات مدينة أو قرية أو حصن إلخ) .

١٠ ـ اسم المنقب .

١١ ـ اسم المسجل .

١٢ ـ تاريخ التسجيل .

١٣ ـ رقم الصور الفوتوغرافية .

١٤ ـ قياس الخريطة ـ (١/ ٢٠٠ مثلاً) .

* * *

ـ ٤ ـ

تنقيب الفخاريات

يبدأ تأريخ ظهور الفخار في العصر الحجري الحديث بعد انتقال الإنسان من الكهوف والملاجىء الصخرية إلى مستوطنات قروية ثابتة في حدود (١٠٥٠٠ ق.م)[١] .

يعثر المنقبون في كثير من الحالات في مرحلة الكشف الأثاري على قطع فخارية صغيرة مبعثرة على سطح الموقع ووجود تلك القطع الفخارية دليل على أن هذا الموقع قد سكنه الإنسان القديم في العصور القديمة ، وانتشار الفخار على سطح الموقع دليل على وجودها في باطنه أيضاً ، من هنا تأتي أهمية التنقيب في المكان الذي نعثر فيه على قطع فخارية لأن الأواني الفخارية في باطن الأرض تمثل تعاقب العصور والحضارات في تسلسل سليم ودقيق . وبالرغم من حدوث بعض التخريبات الطبيعية أو التي تسببها الحيوانات التي تعيش في باطن الأرض كالجرذان التي يمكن أن تخلق بعض الإرباك في تحديد تعاقب الطبقات فعلى المنقبين أن يعملوا على تدقيق اللقى الأثرية والمكتشفات على ضوء تعاقب الطبقات ويكتبوا التقارير الكاملة عن المشاكل التي يواجهونها حتى يستطيع الباحثون فيما بعد بيان استنتاجاتهم الخاصة[٢] .

وخلال عملية التنقيبات وبعد العثور على القطع الفخارية على المنقبين أن

---

(١) LEAKEY. J. - In national. Geographic magazine, Vol. 120 - No. 4, P. 564 - 592.

(٢) GRANKFORT. H - Studies in early pottery of the near east, P. 3.

يحسنوا استخراج تلك القطع وتنظيفها وتصنيفها ، وإذا وجدت أواني فخارية سالمة بين الأنقاض فعلى الحفارين بذل الجهود لاستخراجها كاملة باستعمال آلات دقيقة خاصة يزيحون بها التراب عن سطح الآنية وجوانبها وأسفلها وعندما تصبح واضحة الظهور ترفع وتنقل إلى المختبر بعد ذكر المعلومات اللازمة عنها في السجل اليومي .

ويفضل نقل المواد الفخارية المستخرجة من الموقع إلى المختبر بعد الانتهاء من عمل اليوم مباشرة في أكياس أو صناديق تربط بها ورقة تدوّن عليها المحتويات والمعلومات اللازمة .

إن دراسة الفخاريات هي من الدراسات المهمة التي تمدنا بمعلومات قيمة عن آثار عصور قبل التاريخ وبصورة خاصة لتتبع الهجرات وتاريخ المكتشفات تاريخاً نسبياً ومعرفة الطرق الصناعية والفنية التي مارسها الخزافون القدماء . والتغييرات التي تلاحظ على الفخاريات المنتشرة في طبقات الموقع المتعاقبة تدل على اتجاه تطور العصور الفخارية التي يتميز فخارها بخصائص يخلف بعضها بعضاً فجأةً ، أو بالتدرج ، لأن الخصائص الفنية والمهارة الصناعية ونوع الأشكال وعناصر الزخرفة كلها تخضع للتغيير . بتغيير حاجات وقيم الجماعات[1] .

إن الدراسة الموضوعية للأصناف الفخارية تحتاج فحوصاً وتحليلات كيمياوية واختبارات فيزياوية كما تحتاج لجداول إحصائية وغيرها من المعاملات الأخرى التي تحتاج إلى مختصين في هذا المجال ولسنا بصدد ذكرها بالتفصيل ، ولكن لا بد من وصف دقيق وواضح لقطع الفخار المهمة المستخرجة من المواقع الأثرية المختلفة ويتناول هذا الوصف كافة الملاحظات ذات العلاقة بطريقة الصناعة وشكل الجسم والسطح والزخرفة والتسخين والغرض .

(١) الدباغ ـ تقي ـ المصدر السابق ـ ص ١٧٠ .

١ ـ طريقة الصناعة :

أ ـ باليد بواسطة الحفر أو باللوالب أو بالتجزئة .

ب ـ في قالب واحد أو في أكثر من قالب .

ج ـ على عجلة .

٢ ـ الجسم :

أ ـ النوع ـ (جرّة ـ قدح ـ إبريق ـ صحن ـ إلخ) .

ب ـ الشكل ـ (كروي ـ بيضوي ـ اسطواني ـ إلخ) .

ج ـ الحجم (ويشمل الارتفاع الكلي ـ والطول والعرض وقطر الفتحة وتفاصيل أخرى حسب طبيعة كل قطعة) وسمك الفخار .

د ـ شكل القاعدة وشكل العنق والفتحة .

هـ ـ المقابض إن وجدت وشكلها .

و ـ ملاحظات أخرى .

٣ ـ السطح :

أ ـ جيد الصناعة أم رديء الصناعة .

ب ـ الطلاء ـ (من نفس طينة الآنية أو من طينة مختلفة) (ثابت أو غير ثابت) .

ج ـ الشوائب ـ (طبيعية أو مضافة مثل بقايا قطع الفخار أو التبن) .

د ـ لون الطين ـ (أحمر ـ أسود ـ أصفر ـ أخضر ـ رمادي) .

هـ ـ لون الصبغ ـ (معدني عضوي) وتحديد اللون ـ أبيض إلخ .

و ـ المقاومة (صلبة ـ هشة) .

ز ـ واسطة التلوين (فرشاة ـ آلة حادة ـ أصابع اليد وغيره) .

٤ ـ التسخين :

أ ـ مكان التسخين ـ (تنور ـ فرن) .

ب ـ جو التسخين ـ (مؤكسد مختزل) .

ج ـ درجة الحرارة ـ (شديدة ـ ضعيفة) .

٥ ـ الزخرفة :

أ ـ الطراز (رمزي ـ طبيعي ـ تقليدي ـ مبتكر) .

ب ـ النقوش (هندسية ـ نباتية محزوزة محفورة) .

ج ـ علامة الزخارف بالجسم (عمودية ـ أفقية ـ حسنة ـ رديئة) .

٦ ـ الغرض من الاستعمال :

أ ـ للاستعمال اليومي (الطبخ ـ خزن الماء ـ خزن الحبوب وغيرها)

ب ـ للزينة .

ج ـ للاحتفالات (الدينية وغير الدينية) يعثر عليها في المعابد .

د ـ للدفن مع الأدوات (يعثر عليها في القبور) .

هـ ـ لدفن الأموات (توجد فيها هياكل عظمية) .

و ـ للنقل التجاري (وتكون رديئة الصناعة وكبيرة الحجم) .

* * *

ـ ٥ ـ

تنقيب المواد الأثرية الصغيرة

تختلف المواد الأثرية الصغيرة من موقع إلى آخر ومن بلد إلى بلد وهي تشتمل بشكل عام على الآلات والأدوات الحجرية والمعدنية والعظمية والرقم الطينية والخرز والدلايات وغيرها من المواد التي استخدمها الإنسان القديم في صنع حاجياته المختلفة ، ومن أهم هذه المواد :

١ ـ الآلات الحجرية :

يعتقد البعض أن الإنسان بدأ يصنع آلاته الحجرية في عصر البلايستوسين الأدنى . ولكن الاكتشافات الحديثة في موقع «أولدوفاي» بتنجانيقا تشير إلى بدء صناعة هذه الآلات يرجع لمليوني سنة مضت . وإذا صح هذا الرأي فإن إنسان أوائل عصر البلايستوسين ، كان في الغالب مستعملاً للحجارة وليس صانعاً لها ، لأن إمكانياته العقلية والجسدية لم تصل بعد إلى درجة من التطور لصناعة مثل تلك الآلات . أما الصخور التي استفاد منها الإنسان في صناعة آلاته فهي من النوع الذي يتميز بالقوّة والصلابة وسهولة التشظية مثل حجر الصوان والزجاج البركاني وحجر الرمل والاردواز والصخور البركانية .

توجد الآلات الحجرية في معظم المواقع الأثرية التي يعود تاريخها إلى العصور القديمة ، ولا توجد طريقة خاصة لاستخراجها سوى بذل العناية للحصول عليها سالمة من عيوب الكسر والتخديش الناتجين من فعل آلات الحفر الحادة . وأهم ما يجب على المنقب القيام به في حالة استخراج الآلات الحجرية من مواطن الآثار هو :

١ ـ تنظيف الآلات وإزالة العوالق والأوساخ منها كي تصبح جاهزة للدراسة .

٢ ـ تصوير الآلات .

٣ ـ رسم شكلها بالحجم الطبيعي أو بحجم آخر .

٤ ـ تمييز الآلات عن أحجار أخرى تشبهها .

٥ ـ تحديد نوع الآلة وتقدير الدور الذي تعود إليه .

وهاتان العمليتان الأخيرتان هما من العمليات الصعبة في حقل الآثار ولهما صلة قوية بالاختصاص والخبرة والتجربة الطويلة .

أنواع الآلات الحجرية :

هناك طريقتين مهمتين لصنع الآلات الحجرية هما صناعة آلات النواة وطريقة صناعة آلات الشظايا ، وقد تفرعت هاتين الطريقتين العامتين طرق متعددة كثيرة ظهرت في الصناعة الواحدة تحت تأثير التطور الزمني والخصائص الإقليمية .

١ ـ آلات النواة :

تصنع آلات النواة من لب الحجارة أو نواتها بعد كسر قشرتها الخارجية بالتشظية وتحويل نواتها إلى آلة حادة في جانب واحد أو جانبين وتبدو هذه الآلة ذات نهاية مدببة وحافات حادة تصلح للقطع .

إن اسم هذه الآلة أطلق عليها اسم الفأس اليدوي وقد استخدمت للفرم والقطع والضرب والتقشيط والحفر . وأهم أنواعها هي :

أ ـ آلات الدور الذي سبق الدور «الأبفيلي» :

وهي آلات مصنوعة من الصخور البركانية وجدت في طبقات البلايستوسين في شرق إفريقيا ، وقد شذبت هذه الآلات بالتشطية الخشنة لتصبح صالحة للفرم والقطع .

ب ـ آلات الدور «الأبفيلي» :

تصنع هذه الآلات بكسر شظيتين أو ثلاث من جانب واحد للحجارة

بحيث يصبح هذا الجانب حاداً ، ثم تناولت عملية التشظية حافات الحجارة من الجانبين فأصبحت الآلة حادة من الجانبين وصار لها شكل بيضوي أو شكل إجاصي . وهذا النوع من آلات النواة ربما كان أقدم الفؤوس اليدوية .

ج ـ آلات الدور الأشولي :

في فترة الدفء الجيولوجية الثانية من عصر البلايستوسين تطورت صناعة الآلات حتى وصلت مرحلة الصناعة الأشولية التي تميزت بفؤوس يدوية مدببة أو لوزية الشكل وحافاتها مستقيمة نسبياً وعلى سطوحها ندب غير عميقة . ويمكن القول : إن الفأس اليدوي النموذجي يعود إلى هذا الدور .

٢ ـ آلات الشظايا :

تصنع هذه الآلات بواسطة الضرب على الصخور ، فإذا أخذ الإنسان كتلة من صخرة صوانية وضربها ضربة عمودية على نقطة معينة بمطرقة حجرية قوية كانت النتيجة انفصال شظية حادة الجانب في الكتلة الأصلية وبقاء نتوء مخروطي الشكل منتظم مثل صدف المحار تدور حوله خطوط دائرية تتعاقب حول بعضها من مركز المخروط في الكتلة الأصلية ، وتظهر خطوط دائرته مشابهة في الشظية المنفصلة ثم تسوى حافات الشظية بآلات مدببة فتصبح حادة ومسننة[١] .

ولتمييز الشظايا المصنوعة عن الشظايا الطبيعية يجب ملاحظة الأمور التالية :

١ ـ الشظايا المصنوعة لها سطوح ناعمة بسبب التسوية الذي عملها الإنسان .

أما الشظايا الطبيعية لها سطوح خشنة .

٢ ـ الشظايا المصنوعة تبدو واضحة الكسر أما الشظايا الطبيعية لا تظهر عليها علامات الكسر .

---

(١) الدباغ تقي ـ المصدر السابق ـ ص ١٨٠ .

٣ ـ الشظايا المصنوعة لها نتوء واحد بارز وواضح أما الشظايا الطبيعية لها نتوات متعددة قليلة الوضوح .

٤ ـ الشظايا المصنوعة لها شكل محدود لأنها صنعت وفق طريقة خاصة . أما الشظايا الطبيعية فليس لها شكل محدود .

٥ ـ إن الشظايا المصنوعة تظهر سطوحها لماعة عند تعرضها للضوء أما الطبيعية فلا تتأثر بالضوء المتساقط عليها .

٣ ـ النصـــال :

النصال النموذجية عبارة عن شظايا ذات جانبين حادين متوازيين وبعضها يأخذ شكل الإزميل وقد قطع جانبان منها بشكل مائل بحيث يلتقيان في رأس حاد يصلح للعمل في الحجارة . وقد شاع استعمالها في أواخر العصر الحجري القديم . ثم تطورت صناعتها من عصر إلى آخر . وأفضل ما وصلت إليه من التطور هي النصال «المكدلينية» التي تمثل المرحلة الأخيرة من صناعات العصر الحجري القديم ، وفي هذا الدور ظهرت الصناعات غير الحجرية كالعظام والعاج والقرون التي صنعت منها رؤوس الرماح ورؤوس السهام وحراب الصيد وأبر الخياطة .

٤ ـ الآلات ذات الشكل الهندسي :

وهي آلات صغيرة الحجم تنظم في شكل هندسي معيّن كالمثلث والمعين والهلال وهي آلات ذات اختصاص متنوع كالسهام المسننة ورماح الصيد وآلات حصد النباتات ، وقد انتشرت في شمال إفريقيا وآسيا وأوروبا .

وهناك آلات أخرى تستخدم في الفرم وجدت بالقرب من بكين .

٢ ـ الأواني الحجرية :

قبل أن يهتدي الإنسان إلى صناعة الأواني الفخارية كان يستخدم الأواني الحجرية البسيطة للطبخ وخزن الطعام والماء وتشمل هذه الأواني أقداحاً وجراراً وصحوناً ذات أشكال مختلفة .

٣ ـ آلات الطحن والسحق :

تستخدم لطحن الحبوب والبذور .

وأحجار الطحن عبارة عن كتلتين من الحجارة القوية توضع الحبوب بينها لفرك قشورها وطحنها . أما أدوات السحق فتتألف من أحجار مفرغة على شكل الهاون مثلاً ومطرقة اسطوانية لسحق البذور في الهاون .

٤ ـ الأختــام :

عبارة عن حجارة ذات أشكال مختلفة قرصية أو بيضوية أو لوزية أو اسطوانية ، تكون في العادة مزخرفة بنقوش هندسية أو طبيعية أو حيوانية أو أدمية محفورة بشكل معكوس على سطح الختم وعندما تطبع هذه النقوش على طين طري تترك الشكل الصحيح .

٥ ـ المنحوتات البارزة :

وتشمل المسلات المختلفة التي تجسد الصيد والحرب وتخليد أعمال الملوك والاحتفالات الدينية وغير الدينية .

٦ ـ التماثيل الحجرية :

تصنع عادة من صخور يسهل عمل الإزميل والمطرقة فيها مثل أحجار الرخام وأحجار الكلس .

٧ ـ أقراص المغازل :

وهي أقراص مدوّرة الشكل قطعت من الحجارة أو صنعت من طين مشوي ولها ثقب في الوسط لكي يخترقه لولب المغزل الخشبي ويثبت هذا القرص في نهاية اللولب تقريباً لإيجاد توازن في حركة اللولب .

٨ ـ الرقم الطينية :

وهي ألواح من الطين كتب عليها الإنسان القديم عندما اخترع الكتابة في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد . وهناك مواد أثرية صغيرة نذكر منها الصولجانات والخرز والدلايات وغيرها .

* * *

ـ ٦ ـ

تنقيب المدافن

تنوعت أنواع المدافن حسب تنوع معتقدات الشعوب وطريقة دفنهم للأموات على مر السنين وقد يكون الدفن داخل آنية فخارية أو في صندوق من الحجر أو الآجر أو في تابوت ثمين وغيرها ـ وتكون القبور أحياناً بارزة على سطح الأرض كالأهرامات والقباب وتكون أحياناً مستوية مع سطح الأرض ليس لها ما يميزها أو يدل عليها . وفي هذه الحالة فإن أفضل طريقة للتنقيب عنها هو استخدام طريقة الحفر بالمربعات المتشابكة .

وفي بعض الأحيان يعثر المنقبون على مدافن مدورة الشكل وللتنقيب في مثل هذه المدافن يفضّل شق خندق في وسط المقبرة مع تحديد جوانبها بأوتاد مرقمة . وعند العثور على هيكل عظمي يمكن ضبط مكان الدفن من حيث بعده عن الجوانب وعن سطح الأرض بواسطة الأوتاد .

والطريقة الثانية التي يمكن الحفر بموجبها في مثل هذه المدافن هي تقسيم المقبرة إلى أربعة أقسام بشكل متقاطع

والطريقة الثالثة : هي حفر خندق دائري حول المقبرة ثم توسيع هذا الخندق باتجاه مركز المقبرة .

وعند العثور على الهيكل العظمي فإن أفضل طريقة لاستخراجه من مدفنه هي كشف العظام بالتدريج وهي في مكانها ، ويبدأ البحث أولاً عن الجمجمة

ثم القفص الصدري وصولاً إلى القدمين والذراعين . وأثناء ذلك يجب الانتباه إلى الآلات والأدوات المدفونة مع الهيكل العظمي .

بعد كشف العظام يجب تنظيفها بمنفاخ هوائي وفرشة وتصويرها ورسمها ثم يتم رفع الهيكل العظمي من مكانه على قاعدة من التراب المتماسك أو الطين ، تقطع بواسطة منشار على عمق قدم من مستوى سطح الأرض ثم يوضع تحتها صفيحة من المعدن الخفيف ، ويجب أن يلف الهيكل العظمي بالقطن ثم بأشرطة من القماش تكون مشبعة بمحلول الجبس تدور حول الهيكل العظمي طولاً وعرضاً بطبقتين حتى تتغطى العظام تماماً وبعد أن يجف الجبس يقلب الهيكل العظمي على قاعدته المعدنية ثم يوضع الهيكل العظمي داخل صندوق من الخشب ، ويوضع قليل من التراب أو الرمل حول الهيكل العظمي حماية له من الصدمات ، ثم يشبع الهيكل العظمي بمحلول الأستيون والسليلويد أو الكازولين والبارافين وينقل إلى مكان آخر للحفظ أو العرض .

أما إذا كان الهيكل العظمي مهشماً فالأفضل استخراج العظام المنفصلة وتنظيفها بالوسائل اللازمة وتحفظ كل قطعة منها بكيس خاص يسجل عليها المعلومات الضرورية ثم تنقل إلى المختبر لتجري عملية ربط العظام ببعضها ومعالجة ما تتيسر معالجته وإكمال النواقص بالجبس .

إن تسجيل نتائج استخراج الهيكل العظمي للإنسان يستلزم معرفة المعلومات التالية :

١ ـ اسم الموقع .
٢ ـ رقم الهيكل العظمي .
٣ ـ المكان الذي عثر عليه .
٤ ـ العمق ونوع وطريقة الدفن .
٥ ـ الطبقة .
٦ ـ الحالة ـ جيدة أو رديئة ـ هيكل عظمي كامل أو خلاف ذلك .
٧ ـ وحدة التنقيب .

٨ ـ مساحة القبر والاتجاه .
٩ ـ المواد الأثرية المرفقة .
١٠ ـ اسم المنقب .
١١ ـ اسم المسجل .
١٢ ـ عدد الصور الفوتوغرافية .
١٣ ـ عدد الرسوم .
١٤ ـ التاريخ .

بعد استخراج الهيكل العظمي للإنسان يجب على المنقب أن يحاول تقدير عمر وتمييز جنس صاحبه .

وتقدير العمر نسبياً يتم بواسطة الأسنان وعلامات نمو العظام :

١ ـ فالطفل الصغير الذي يتراوح عمره بين الشهر السادس والسنة الثالثة يقدر عمره بظهور الأسنان اللبنية التي تتميز بجذور منحنية وثقوب واسعة الأعصاب .

٢ ـ الصبي الصغير الذي يتراوح عمره بين السنة الثالثة والسنة السادسة يقدر عمره بوجود الضرس الأول .

٣ ـ الصبي الكبير الذي يتراوح عمره بين السنة السادسة والسنة الثالثة عشرة يقدر عمره بوجود الضرس الثاني .

٤ ـ الشاب بين السنة الثالثة عشرة والسنة الثامنة عشرة من العمر يعرف بوجود الضرس الثالث وبارتباط رؤوس العظام الطويلة عدا النهاية السفلى من الكوع في الساعد ونهاية القسم العلوي من الحوض .

٥ ـ يتحدد عمر الإنسان من السنة الثامنة عشرة والحادية والعشرين بارتباط كافة رؤوس العظام والتحام تداريز عظام الجمجمة .

٦ ـ والإنسان بين الحادية والعشرين والخامسة والثلاثين من العمر يعرف بارتباط تداريز كافة العظام ارتباطاً تاماً .

٧ ـ والإنسان بين السادسة والثلاثين والخامسة والخمسين من العمر يعرف بظهور آثار التآكل والنخر في الأسنان .

٨ ـ والشيخ بين السادسة والخمسين والخامسة والسبعين من العمر يعرف بوجود عدد قليل من الأسنان ، وبوجود حك في تداريز العظام .

٩ ـ والشيخ الكبير الذي يزيد عمره على السادسة والسبعين سنة فيعرف بفقدان جميع الأسنان .

أما تمييز جنس الشخص المتوفي فيعتمد على فحص عظام الحوض والجمجمة .

ففي منطقة الحوض تكون عظمة العانة في الذكور رفيعة وفي الإناث عريضة ومنفرجة ويكون تقعر الحوض في الذكور ضيقاً وفي الإناث عريضاً .

وفي منطقة الجمجمة تكون حجاج العينين وعظام الوجنة وعظام مؤخرة الرأس في الذكور كبيرة وفي الإناث صغيرة[١] .

وبعد تميز جنس وعمر الهيكل العظمي يجب ذكر المعلومات التالية :

١ ـ الجنس .
٢ ـ العمر .

* * *

---

(١) الدباغ تقي ـ المصدر السابق ـ ص ١٤٨ .

ـ ٧ ـ

التنقيب في الكهوف

إن أفضل الطرق التي يجب أن تتبع في التنقيب داخل الكهوف هي التي تتم حسب طريقة المربعات المتشابكة ، على أن تكون وحدات الحفر صغيرة جداً (٣٠ سم مثلاً طولاً وعمقاً) وعندما تظهر علامات التغيير بين نوعين من التراب فينبغي أن نعتبرها خطاً فاصلاً بين طبقتين ، وفي الحفريات المنظمة يظهر خط الانتقال من طبقة لأخرى على جدران الخندق المحفور . ويستمر الحفر على هذه الطريقة حتى الوصول إلى أرضية الكهف الأساسية . ويتم استخراج جميع اللقى الأثرية من آلات حجرية وعظمية وشظايا ونصال ثم تنظّف جيداً ويتم تسجيلها في التقرير العام ثم تنقل المواد إلى مكان حفظها .

* * *

الباب الثاني

علم التاريخ

الفصل الأول

١ ـ تعريف التاريخ .
٢ ـ وسائل التاريخ .
٣ ـ التدوين التاريخي في وادي الرافدين .
٤ ـ أهم الوثائق التاريخية في وادي الرافدين .

ـ ١ ـ

تعريف التاريخ

التاريخ لغةً يعني تحديد الزمن ، وهي كلمة مشتقة من مادة «أرخ يؤرخ»[١] التي تعني الشهر ، في اللغات السامية القديمة ، كاللغة الأكدية واللغة البابلية واللغة الأشورية . ويعتقد الباحثون الغربيون ، إن أول من أطلق تسمية التاريخ «HISTORY» هو المؤرخ اليوناني هيرودوتس (القرن الخامس ق.م) وتلفظ باللغة اليونانية «HISTORYA» والقصد منها التحري والبحث في أحداث الماضي وتسجيلها .

وعرّف ابن خلدون (المتوفي عام ١٤٠٦ م) التاريخ في مقدمته الشهيرة على أنه «في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى . . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ، ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق»[٢] .

ثم وضعت جملة تعاريف للتاريخ ، وأهمها التعريف الذي ظل سائداً إلى أواخر القرن الثامن عشر ، ويعني : أن التاريخ سجل الأحداث الماضية[٣] .

(١) انظر لسان العرب لابن منظور «مادة أرخ» . ويرى طه باقر أن التأصيل الصحيح لمادة «أرّخ» بمعنى عين الزمن وحدوده . (مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول) .
(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ٢ .
(٣) وتطلق كلمة تاريخ على العهد الثابت الذي يؤرخ به أو منه كالتاريخ الميلادي والتاريخ الهجري أي بمعنى (ERA) .

في ضوء نظريات التطور وعلم الاجتماع الحديث ، اتسع مفهوم التاريخ ، ليكتسب مدلولات حضارية وتطورية وأصبح يعبّر عن أحوال المجتمعات الماضية وتطورها ونموها وازدهارها أو تدهورها وانحلالها ، وعلى ضوء هذا المفهوم درج المؤرخون على تقسيم التاريخ إلى نوعين هما :

١ ـ التاريخ السياسي .
٢ ـ التاريخ الحضاري .

١ ـ التاريخ السياسي : يهتم في سرد الأحداث السياسية كالحروب وأخبار الملوك والحكام وتعاقب السلالات الحاكمة وكل شأن من شؤون السياسة والحكم .

٢ ـ التاريخ الحضاري : ويهتم في تطور النظم والحركات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والدينية . مع العلم أنه يوجد ترابط وتفاعل بين الأحداث السياسية والتطورات الحضارية العامة .

أما المعنى الاصطلاحي للتأريخ : فهو فرع من فروع المعارف البشرية ، قوامه التحري عن حياة المجتمعات في الماضي والتي يصل إليها الباحث التاريخي وفق منهج بحث خاص هو منهج البحث التاريخي (HISTORICAL METHOD) .

ويعتبر التاريخ علماً من العلوم الإنسانية ، انطلاقاً من تعريفنا للعلم على أنه «مجموعة منتظمة ومنظمة من الحقائق يمكن التوصل إليها بمنهج خاص من البحث والتحري والملاحظة والتحقيق واستخراج القوانين التي تحكم الظواهر المبحوث فيها»[1] .

ولعل أفضل ما يوصف به التاريخ بصفته علماً ، أنه من العلوم الوثائقية (DOCUMENTARY SCIENCES) أي العلوم التي تعتمد على الوثائق التي خلفها الماضي ، سواءً كانت مدونات تاريخية ، أم بقايا مادية ، التي تعتبر من مصادره الأولى .

---

(١) HERENSLOW, An outline of modern knowlege, P. 775, 1931.

ـ ٢ ـ

وسائل التاريخ

١ ـ الرواية الشفهية :

قبل أن يبدأ أقدم تدوين لأحداث الماضي كانت الرواية الشفهية هي الوسيلة المعتمدة في تناقل الأخبار وحوادث الماضي ، وكان للتاريخ الشفهي أشكال مختلفة عند الشعوب ، منها الروايات وذكر أعمال البطولة والأساطير . ومعظم الملاحم والقصص الكبرى التي اشتهرت في تاريخ الحضارت القديمة ترجع في أصولها قبل تدوينها إلى تداولها بالرواية الشفهية بين القصاص والشعراء . نذكر منها على سبيل المثال من آداب الحضارات القديمة : ملحمة جلجامش ، وقصة الطوفان في حضارة وادي الرافدين ، والألياذة والأوديسة في الحضارة اليونانية وملاحم المها بهاراتا والبورانا في الهند ، وقصص المآثر العربية في العصر الجاهلي عند العرب . ويمكن القول أن هذا النوع من الروايات الشفهية ما يزال مستخدماً في وقتنا الحاضر عند معظم الشعوب .

٢ ـ الرواية المكتوبة :

هي مادة التاريخ الأساسية منذ وجدت الكتابة ، بحدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ، في وادي الرافدين ووادي النيل ، حيث اخترع العراقيون القدماء ما يعرف بالخط المسماري ، واخترع المصريون الخط الهيروغليفي . في حينها بدأ أول تدوين للتاريخ ، ولكن التدوين التاريخي في تلك الحقبة لم يكن بمستوى التدوين في العصر الحديث حيث لا نتوقع أن يُستخدم في تلك المدونات المفهوم العلمي الحديث المتميز بطرق النقد والتمحيص والتحقيق ، إلى غير ذلك من قواعد البحث العلمي ، إلا أنه يمكن القول : إن الأساليب

التي أتبعت في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، كانت تضاهي أساليب المؤرخين في الحضارات القديمة اللاحقة والتي اقتبست الكثير عن تلك الحضارتين .

٣ ـ الآثــار :

الآثار هي مصادر التاريخ الوحيدة في العصور القديمة قبل بدء التدوين . فالشعوب القديمة تركت آثارها في جميع أنحاء العالم وتتراوح الآثار بين الأبنية وبين القطع الأثرية الفنية ، كالتماثيل والحلى والنقوش وأدوات العمل والمعيشة كالآنية والأسلحة والمنسوجات والنقود وورق البردي وغيرها من الأدوات ، وكلها مادة للتاريخ الإنساني . بالإضافة إلى ما تكشف عنه بعض الصور الأثرية من ملامح حياة الشعوب القديمة ، وعلى هذه الآثار تبنى معارفنا التي تزداد يوماً بعد يوم مع ازدياد التنقيبات الأثرية في جميع بقاع المعمورة .

٤ ـ الكتابات الأثرية :

وهي وثائق العصور القديمة ، فمعظم الحضارات القديمة سجلت على آثارها ما تريد قوله بكتابات شتى ، وبعد أن حلَّ العلماء رموز الخط المسماري[1] والخط الهيروغليفي ، أضافوا إلى التاريخ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

٥ ـ الوثــائــق :

تشمل الوثائق على السجلات والصكوك والمراسلات بين الحكام وقادة الجيوش والأمراء ، أو بين دولة وأخرى . وتشتمل أيضاً على المعاهدات المعقودة بين الدول ، وعلى القوانين والشرائع المختلفة التي تنظم شؤون الحياة الاجتماعية . وكل ما تصدره الدولة من وثائق تتعلق بحياة الشعوب .

---

(١) يعود الفضل في حل رموز الخط المسماري للباحث الأثاري الإنكليزي رولنسون في عام ١٨٢٧ وهو الذي عثر على منحوتة بهستون في إيران ، وهي عبارة عن نصب تذكاري يرجع إلى زمن الملك الفارسي داريوس الأول كتب عليها باللغات الثلاث العيلامية والفارسية القديمة والبابلية وكتبت البابلية بالخط المسماري . (تقي الدباغ : طرق التنقيبات الأثرية ، ص ٣٠) .

ـ ٣ ـ

التدوين التاريخي في وادي الرافدين(١)

مع ظهور الكتابة في وادي الرافدين ووادي النيل ، بدأ تدوين شؤون الحياة المختلفة ومن ضمنها أحداث الماضي . وأولى الكتابات كتبت بالخط المسماري (CUNEIFORM) في العراق القديم ، والخط الهيروغليفي (HIEROGLYPHIC) في مصر القديمة وبعدها بدأت المسيرة الحضارية تتبلور وتتطور تدريجياً حتى بلغت أوج عظمتها في مصر والعراق . وكان من بين أبرز الإنتاجات الفكرية لحضارة وادي الرافدين ، تدوين التاريخ ، وبالرغم من عدم انطباق مفهوم تدوين التاريخ الحديث عليه فإنه يمكن القول : إن أسساً مهمة يقوم عليها مفهوم التاريخ ، قد وضعت في حضارة وادي الرافدين . وفي مقدمة ذلك ، ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح «الحسّ التاريخي الذي يظهر جلياً في اهتمام سكان العراق القدماء بأحداث الماضي وتدوينها . بالإضافة إلى ذلك نجد في تدوين التاريخ في حضارة وادي الرافدين بدايات بعض الأهداف المتوخاة من التاريخ في مفهومه الحديث ، ومنها اهتمام الإنسان في تتبع الأحوال الاجتماعية وتطورها وتعليل أحداث التاريخ وتفسيرها والتي عُبّر عنها بلغة الأساطير ورموزها .

---

(١) ظهرت الكتابة في مصر القديمة والعراق القديم بحدود منتصف الألف الثالث ق.م. (حضارة العراق ، ج ١ ص ٢٢٢) . انظر أيضاً موسوعة :

Ancinent, near Eastern texts (1969).

ومن أشهر المدونات التاريخية :

١ ـ جداول الملوك (KING LISTS) :

نظم الكتبة والمؤرخون القدماء جداول بأسماء الملوك والسلالات الحاكمة . وعدد السنين التي حكمتها ، ولعل ما يعرف بقوائم الملوك السومرية ، من أبرز المصادر التي عرفتّنا بفهم العراقيين القدماء للتاريخ . وزودتنا تلك القوائم بأسماء الكثيرين من الملوك وسنوات حكمهم وبعض الأحيان أسماء عواصمهم ، ولم تخلُ مثل تلك القوائم من الإشارة إلى أحداث تاريخية مهمة ، وخاصةً تلك التي تتعلق بالحروب والانتصارات .

ونجد في جداول الملوك السومريين ، بداية ما توافق عليه المؤرخون من تقسيم التاريخ إلى أدوار ، إذ اعتبرَ السومريون في هذه الجداول أن الطوفان هو الحدث الفاصل ما بين عهدين في التاريخ البشري هما العهد القديم مما قبل الطوفان والعهد الجديد من بعد الطوفان على غرار ما نسميه اليوم قبل الميلاد وبعد الميلاد .

وعلى صعيد آخر فإن ما وردنا من قوائم ملوك العصور اللاحقة الأكدية والبابلية والأشورية ، يشير بوضوح إلى تقدم المؤرخين العراقيين القدماء ، حيث مكنتنا تلك القوائم من معرفة الأحداث الرئيسية التي وقعت إبان حكم كل ملك . فإذا أراد أحد الملوك معرفة أعمال من سبقه في الحكم فما عليه إلا أن يعود إلى تلك القوائم ، فيجد فيها سني حكم من سبقه وأعماله الحربية والعمرانية وانتصاراته ، وهداياه الثمينة للمعابد ، والكوارث التي ألمّت بالبلاد وما إلى ذلك من أحداث هامة .

٢ ـ الحـوليـات :

وتبقى نصوص الحوليات (ANNALS) الملكية ، أي ذكر الحوادث عاماً بعد عام عند تدوين أخبار الملوك ، أحد أبرز الشواهد على اضطلاع العراقيين بمعرفة التاريخ وتدوينه . وأقدم ما جاء إلينا ، النص التاريخي العائد إلى الملك

السومري المسمى أنتمينا (ENTEMENA) (أحد حكام سلالة «لجش» في عصر السلالات الثالث) وقد دون في هذا النص حوادث النزاع ما بين دولة «لجش» والدولة المجاورة «أوما» . ولقد تطور هذا الأسلوب التاريخي إلى أن وصل مرحلة نضجه إبان حكم السلالة الآشورية الحديثة . وخلّف لنا الآشوريون نُصوصاً مطولة تخص أعمالهم الحربية والعمرانية .

٣ ـ التاريخ التعاصري :

توصل الآشوريون إلى ما يعرف بالتاريخ التعاصري (SYNCHRONISTIC HISTORY) الذي هو عبارة عن استعراض لتأريخ الأحداث الهامة التي وقعت في بلاد آشور وما يعاصرها من أحداث في بلاد بابل ، وتناولت مثل هذه المدونات تأريخ حكم ملوك آشوريين وبابليين منذ العهدين الآشوري والبابلي القديمين .

وخلف لنا الكتبة البابليون نوعاً آخر من المدونات التاريخية المعروفة بكتب الأخبار (CHRONICLES) أمدتنا هذه الكتب بأخبار هامة يعود قسم منها إلى القرن الثامن عشر ق.م .

ومن الكتابات التقليدية التي ترينا بوضوح اهتمام العراقيين القدامى بالتاريخ ، الرسائل ، وخاصة الرسائل الملكية المقدمة للآلهة ، وفي هذه الرسائل كثير من الأخبار التي تحدثنا عن أعمال البناء والعمران والغزوات والانتصارات التي حققها الحكام .

ومن النصوص المهمة التي أمدتنا بمعارف العراقيين عن التاريخ نصوص العرافة (OMENTEXTS) فبالرغم من ارتباط هذه النصوص بالأمور الدينية والسحرية أحياناً إلا أن البعض منها يتضمن مادة تاريخية خالصة تحتوي على إشارات عن سقوط ملك وتنصيب آخر ، أو تلك التي تحدثنا عن بعض الحروب ودحر الغزاة .

وأخيراً لا بد لنا من الإشارة إلى المستوى الراقي الذي وصل إليه المؤرخون العراقيون من البحث العلمي ، من خلال الكتاب الذي ألفه المؤرخ

العراقي برحوشا (BEROSSUS) الذي عاش في القرن الثالث ق.م . ويتحدث هذا الكتاب عن تاريخ وادي الرافدين منذ الخليقة والطوفان إلى عهد الإسكندر (٣٣١ ق.م) ولم يصل إلينا من هذا الكتاب سوى شذرات في كتب المؤرخين اليونان والرومان[١] .

---

(١) طه باقر : طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار ص ١٩ ـ ٢٣ .

ـ ٤ ـ

أهم الوثائق التاريخية في وادي الرافدين

كشفت لنا التنقيبات الأثرية عن الكثير من الوثائق التاريخية العراقية القديمة ، تضمنت مواضيع عدة من أهمها :

١ ـ النصوص اللغوية :

وتتضمن جداول لغوية في شرح العلامات المسمارية والمفردات السومرية ومرادفاتها في اللغة البابلية وغيرها من اللغات الأخرى كالأشورية والعيلامية .

٢ ـ النصوص القانونية :

وتتضمن نوعين من الوثائق هي :

أ ـ الشرائع المدونة على رقم طينية ، كشريعة «أوركاجينا» وشريعة «أورنمو» وشريعة «لبث عشتار» ، وأغزرها مواداً شريعة حمورابي(*) وتكوّن هذه القوانين مادة قيمة وهي من المصادر المهمة للباحث التاريخي للتعرّف على تنظيم المجتمع والحركات الاجتماعية وعلاقتها بالقوانين المدوّنة .

ب ـ الوثائق القانونية المختلفة : كعقود البيع والشراء وعقود التملك والقروض ، وعقود الزواج والطلاق والتبني وتقسيم الإرث والوثائق المتعلقة بالعلاقات التجارية والإدارية ، والقرارات الصادرة عن الحكام وغيرها .

(*) أوركاجينا (آخر ملوك سلالة لكش السومرية) وأرنمو (مؤسس سلالة أور الثالثة) ولبث عشتار (خامس ملوك أيسن مطلع الألف الثاني ق.م) .

٣ ـ النصوص الدينية :

وتتضمن مختلف أنواع الممارسات ، والشعائر الدينية والتراتيل والطقوس الخاصة بالمعابد والأعياد الدينية وغيرها . ولا بد هنا من الإشارة أنه كان للدين تأثير كبير في حياة المجتمعات القديمة من هنا تأتي أهمية النصوص الدينية للتعرف على مسيرة المجتمعات القديمة .

٤ ـ النصوص الرياضية والفلكية :

وهي كثيرة ومتنوعة ، أهمها نصوص تعود للعهد البابلي القديم (٣٠٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م) وجدت على هيئة قضايا في الشكل والهندسة وجداول مطولة للاعداد ، وأرصاد فلكية .

٥ ـ الرسائل :

هي من المصادر التاريخية المهمة للباحثين في التاريخ جاءتنا من العراق القديم والمناطق المجاورة بعضها رسائل شخصية بين الأفراد وكثير منها رسائل رسمية تعود للملوك والحكام ، مثل رسائل حمورابي والرسائل الرسمية الأشورية وتؤلف مصادر مهمة عن أحوال الدولتين الأشورية والبابلية[١] .

٦ ـ النصوص الأدبية :

وهي كثيرة ومتنوعة منها ملاحم الأبطال والبطولة كملحمة جلجامش ومنها الأساطير كأسطورة الخليقة البابلية ومنها القصص كقصة الطوفان ونزول عشتار إلى العالم السفلي ، إلى جانب مجاميع عديدة من الحكم والأمثال والقصائد الشعرية والنثر الأدبي .

٧ ـ النصوص الطبية :

وتهتم بتشخيص الأمراض والتنبؤ بالشفاء أو عدمه مع ذكر أنواع العقاقير والأعشاب التي كانت تستخدم في شفاء المرضى .

---

(١) اكتشفت هذه الرسائل حديثاً أثناء تنقيبات البعثة الفرنسية في تل الحريري على الحدود العراقية السورية قرب مدينة أبو كمال (طه باقر ـ المصدر السابق : ص ٥٨) .

الفصل الثاني

١ ـ التدوين التاريخي في وادي النيل .

٢ ـ التدوين التاريخي عند اليونان .

٣ ـ التدوين التاريخي عند الرومان .

ـ ١ ـ
التدوين التاريخي في وادي النيل

خلّف لنا الكتبة المصريون القدامى نصوصاً متنوعة شملت مختلف شؤون الحياة ، من بينها النصوص القانونية والأدبية والدينية والقصص والأساطير وأنواع العلوم والمعارف والرسائل ، وأهمها الرسائل التي تعرف برسائل تل العمارنة ، ونظمت الجداول بأسماء الملوك والسلالات الحاكمة . أهمها الجدول الذي دونه الكاهن المصري (منيثو) نظير الكاهن البابلي (بيروس) ومعاصره تقريباً ، فكلاهما عاش في القرن الثالث ق.م . حيث حكم بلاد بابل الملوك السلوقيين خلفاء الإسكندر ، وحكم البطالسة خلفاء الإسكندر أيضاً ، في مصر . وقد قسّم المؤرّخ المصري (منيثو) ملوك السلالات الحاكمة في مصر إلى ٣١ سلالة ، منذ أول سلالة حكمت مصر . وقد أتبع الباحثون هذا التقسيم ، ولم يكن هذا التقسيم وحده الذي أُقتبس عن حضارة وادي النيل ، بل إن الكثير من المعلومات والمعارف التاريخية وغير التاريخية تأثرت بها الحضارات اللاحقة وما يزال تأثيرها واضحاً وجلياً حتى يومنا هذا .

ومن أهم الوثائق التاريخية المصرية القديمة نذكر :

١ ـ الخط القديم المقدس :

هو أقدم خط هيروغليفي ، شبيه بالصور ولكنه ليس كتابة صورية ، فهو خليط من الكتابة الصوتية المقطعية والكتابة الرمزية «أي أن العلامة تقوم مقام الكلمة أو المعنى» .

٢ ـ الخط الهيراطيقي :

وهو خط الكهنة ، نشأ من تبسيط الخط القديم المقدس في منتصف الألف الثالث ق.م ظل مستخدماً فترة طويلة حتى اختفى من الوجود في حدود سنة ٦٠٠ ق.م .

٣ ـ الخط الديموطيقي :

يعرف بخط عامة الناس وهو خط مبسط عن الخط الهيراطيقي بدأت الكتابة به منذ نهاية الأسرة الثانية والعشرون ، ظل هذا النوع من الخطوط مستعملاً إلى ما بعد القرن الثالث الميلادي بقليل . حيث أخذت الحروف اليونانية الهجائية تحل محله ، وشاع استعمالها في عهد البطالسة ، خلفاء الإسكندر حتى عام ٣٠ ق.م . واستخدم الأقباط الحروف اليونانية مع زيادة سبع علامات ديموطيقية لتدوين لغتهم التي تطورت كلهجة من لهجات اللغة المصرية القديمة في عهودها المتأخرة .

كانت مادة الكتابة الشائعة في مصر القديمة ، ورق البردي المشهور . الذي صنعه المصريون القدماء[1] وجعلوه صالحاً للكتابة أما طريقة صناعته فهي سهلة وبسيطة . تتم بواسطة شق لباب البردي إلى شرائح توضع بعضها لصق البعض الآخر بشكل عمودي وتلصق فوقها شرائح أخرى أفقية ثم تضغط الشرائح كلها وتصقل ، فتصبح صالحة للكتابة عليها بالحبر .

انتقلت صناعة ورق البردي إلى الحضارات الأخرى خاصة الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية . حتى أن اليونان أطلقوا على الكتاب كلمة ببليون (BIBLION) وهو مصطلح مأخوذ من اسم المدينة الفنيقية الشهير «بيبلوس» على سواحل لبنان . حيث كان اليونان يستورد ورق البردي المصري عن طريق هذا الميناء .

---

(١) طه باقر : المصدر السابق ، ص ٦١ ـ ٦٢ .

ـ ٢ ـ

التدوين التاريخي عند اليونان[١]

بدأت الحضارة اليونانية بالازدهار في شتى أنواع العلوم منذ مطلع القرن السادس ق.م . ولا سيما في بلاد «أيونيا» ، التي تقع على السواحل القريبة من الأناضول ، وتمتد هذه الحضارة في جذورها إلى الكثير من العناصر الحضارية التي اقتبسها اليونان عن الحضارة الإيجية التي ازدهرت في جزر بحر ايجه وجزيرة كريت ما بين الألف الثالث والثاني ق.م . كما اقتبست الكثير عن الحضارات القديمة وخاصة حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل . ولم يكتف اليونانيون بالاقتباس بل كان لهم الفضل الكبير في تطوير الكثير من المعارف والعلوم وإعطائها نفحة فلسفية ساهمت في خلق أفكار جديدة ما يزال تأثيرها واضحاً حتى يومنا هذا .

لقد تميز المفكرون اليونان بالبحث والتحري والتعليل والكشف عن أصل الأشياء بحيث يمكن القول : إن الفلسفة بمفهومها الصحيح كانت من إبداعاتهم الفكرية ، وأن مفكريهم حوّلوا كثيراً من الأساطير الخاصة بأصل الكون والأشياء التي اقتبسوها عن حضارات وادي الرافدين ووادي النيل ، إلى تعليلات فلسفية ، وكان من بين الأمور التي شغلت هؤلاء المفكرين ، النظر في أخبار الماضي والتحري عن تلك الأخبار وتعليلها مما أدى إلى بروز عدد كبير من المؤرخين المشهورين أهمهم :

(١) انظر : موسوعة بهجة المعرفة م ٢ ، ج ٣ ، ص ٧٨ ـ ٨١ و ١٥٤ .

١ ـ هيكاتيوس (HECATAEUS) :

وُلد عام ٥٤٠ ق.م وهو العام الذي توفي فيه المفكر اليوناني «طاليس» . كتب هيكاتيوس عن أصل اليونان وأنسابهم وهجراتهم ، وكان مولعاً بالسفر والتنقل من بلد إلى آخر مستطلعاً البلاد وأحوالها واصفاً لها ، لذا يمكن أن نعدَّه أقدم جغرافي في الحضارة اليونانية ، ويعزى إليه رسم أقدم خارطة للأرض ، وبالرغم من أن هذا المؤرخ أسهم إلى حد كبير في تطوير علم التاريخ وعلم الجغرافيا إلاّ أن بعض كتاباته كان يشوبها شيء من الأوهام والخيال .

٢ ـ هيردوتس (HERODOTUS) :

هو من أشهر المؤرخين اليونان عاش في حدود (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق.م) وقد اقتبس الكثير عن هيكاتيوس ، ولقب «بأبو التاريخ» كان موضوع تاريخه الرئيسي ، أخبار الحروب اليونانية الفارسية ، التي تتحدث عن عهدي الملكين الفارسيين (دارا الأول ، ٥٢١ ـ ٤٨٥ ق.م) و (أحشيورش ٤٨٥ ـ ٤٦٥ ق.م) وتضمن كتابه هذا الكثير عن حياة الشعوب والأمم الأخرى خاصة بلاد مصر وبابل وأشور وبلاد إفريقيا ، ويعتبر هيردوتس أول مؤرخ تناول أحوال الشعوب وعاداتها ونظمها ، ولكن كتاباته كان يشوبها الكثير من الأساطير التي يقول إنه سمعها من الآخرين وأنه كتبها كما سمعها ، تنقل هيردوتس بين البلاد ، فقد زار مصر وشمال إفريقيا وبلاد ما بين النهرين وتمكن من جمع معلومات قيمة ضمنها كتابه الذي قسمه إلى تسعة أجزاء سمي كل جزء منها باسم إحدى الآلهات التسع الخاصات بالأدب والشعر والفنون والموسيقى ، ويعتقد أن هذه التسميات لم تكن من وضع هيردوتس بل الذي وضعها هم بعض الكتبة اليونان ، الذين ينسبون إلى مدرسة الإسكندرية .

٣ ـ ثوكيودايدز (THUCYDIDES) (٤٧١ ـ ٤٠١ ق.م) :

كان خلفاً لهيردوتس في تدوين الحضارة اليونانية وكان أحد قواد أثينا العسكرين ، تفرّغ للكتابة بعد أن عُزل من منصبه لفشله في إحدى المعارك، وكانت أولى كتاباته عن الحروب التي دارت ما بين دولتي أثينا وسبارطة

وأحلافهما (٤٣١ ـ ٤٠٤ ق.م) وهو الذي عاصر تلك الحروب وشارك فيها ، فيعتبر بذلك من المؤرخين الموثوق بهم وبكتاباتهم بما يخص تلك الحروب ، وتميزت كتاباته بالدقة والنقد والتحليل ، وكان تاريخه ، هو أول نوع مما يسمى بالتاريخ السياسي الحربي ، وقد ضمنهُ بعض الآراء والنظريات الفلسفية في تفسير التاريخ وتدوينه ، ومنها أن في التاريخ دورات ثورية .

٤ ـ بوليبيوس (POLYBIUS) (٢٠٥ ـ ١٢٣ ق.م) :

هو من المؤرخين المشهورين الذين عاشوا في العصر الجمهوري الروماني أخذه الرومان أسيراً إلى إيطاليا عام (١٦٧ ق.م) فاغتنم هذه الفرصة أثناء وجوده في روما وألّف كتباً قيمة في التاريخ باللغة اليونانية ، اهتم بالدرجة الأولى في كتابة تاريخ الرومان ولا سيما التاريخ الدستوري ونظام الحكم ، وذكر أشياء كثيرة عن الحروب والحملات الرومانية ، واشتهر بكتابه المسمى بالتواريخ (HISTORIES) .

ـ ٣ ـ

التدوين التاريخي عند الرومان[1]

كان التدوين التاريخي لدى الرومان مقتصراً إلى حد كبير على تاريخ روما وتاريخ عظمائها وحروبها ، لذا نجد أن عدد المؤرخين الرومان كان قليلاً قياساً بالمؤرخين اليونان ، وخاصة أن المؤلفات التاريخية التي تضمنت تاريخ الرومان قد دونت بأقلام مؤرخين يونان وباللغة اليونانية ، لذا نجد أن الكتبة الرومان اتجهوا في كتاباتهم نحو القصص التاريخية والأساطير وتأطيرها بإطار ديني ، وأسست في روما معاهد ومؤسسات دينية عنيت بهذا النوع من الكتابة التاريخية لكنها لم تكن بالمستوى المطلوب ولم تعطي للتاريخ حقه ، بل كانت الكتابات تقليدية ، وقصصاً خيالية أملتها سلطة دينية متعصبة ، وبالرغم من ذلك نجد أن روما أنجبت بعض المؤرخين الذين خرجوا عن التقليد العام ، وقدموا للتاريخ كتابات قيمة جديرة بالاهتمام ، ومن هؤلاء المؤرخين نذكر .

١ ـ سالوستي (SALLUST) (٨٦ ـ ٣٤ ق.م) :

هو من المؤرخين الرومان المشهورين الذين دونوا كتاباتهم باللغة الرومانية ، كان قائداً حربياً ومؤرخاً شهيراً في عهد يوليوس قيصر ، وقد دون معظم الأحداث التاريخية التي عاصرها والأحداث التي سبقت عصره بجيلين ، اتسمت كتاباته بالواقعية والتركيز وخاصة في المجالات العسكرية لأنه من المساهمين في صنع تلك الأحداث فوصفها وصفاً دقيقاً .

(١) انظر : موسوعة بهجة المعرفة ـ المصدر السابق ، ص ٢١٨ ـ ٢٤٢ .

٢ ـ ليفي (LIVEY) (٥٩ ق.م ـ ١٧ م) :

هو من المؤرخين المعروفين الذين دونوا تاريخ الرومان . اشتهر في تدوين أحداث العهدين الجمهوري والإمبراطوري ، تنوعت كتاباته بين الواقعية وبعض النفحات الأسطورية تأثر بمن سبقه من المؤرخين اليونان والرومان وذكر لنا أحداث مهمة عن تاريخ روما في عهدين مهمين من حياتها .

٣ ـ تاسيتوس (TACITUS) (٥٥ ـ ١١٧ م) :

يعد تاسيتوس من أهم مشاهير المؤرخين الرومان ، تميزت كتاباته بالأسلوب اللغوي البليغ ، ألّف كتباً عديدة في الأدب والتاريخ واشتهر من مؤلفاته التاريخية كتاب الحوليات (ANNALS) دون فيه أحداث الإمبراطورية الرومانية عاماً بعد عام وضمنها الفضائح التي عمت البلاط في عهدي طيبريوس (١٤ ـ ٣٧ م) ونيرون (٥٤ ـ ٦٨ م) . وتميز أسلوبه وعرضه التاريخي بأنه كان أقرب إلى الوعظ الأخلاقي منه إلى التاريخ .

٤ ـ فلوطرح (PLUTRACH) (٤٠ ـ ١٢٠ م) :

عاش في عهد الإمبراطور الروماني تراجان . مكث في روما ودوّن كتاباته باللغة اليونانية . كان تاريخه من نوع تاريخ التراجم والسير ، أي تراجم الشخصيات التاريخية المهمة ، وقد نظمه تنظيماً دقيقاً بحيث يذكر سيرة أحد مشاهير اليونان ثم سيرة أحد عظماء الرومان ، وقد ضمنه سيرة ثلاث وعشرين شخصية بارزة ، فمثلاً : ذكر أولاً سيرة الإسكندر الكبير (٣٥٦ ـ ٣٢٢ ق.م) وأعقبه بسيرة يوليوس قيصر (١٠٢ ـ ٤٤ ق.م) .

وبعد انتشار الديانة المسيحية ما بين القرنين الثالث والرابع الميلاديين والتي جعلها الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦ ـ ٣٣٧ م) الديانة الرسمية للإمبراطورية . ظهر بعض المؤرخين الرومان من أشهرهم :

١ ـ يوسيبوس : (EUSEBUS) (٢٦٥ ـ ٣٤٠ م) كان أسقف قيصرية في فلسطين ، ألّف كتابه المعروف بالتواريخ باللغة اليونانية .

٢ ـ القديس جيروم : (JEROM) (٣٤٠ ـ ٤٢٠ م) اشتهر بترجمته للتوراة إلى اللغة اللاتينية وكان له عدة رسائل تاريخية تناولت حياة الشعوب الرومانية في المراحل الأولى للديانة المسيحية .

الفصل الثالث

١ ـ التدوين التاريخي عند العرب .

أ ـ التدوين التاريخي عند العرب قبل الإسلام .

ب ـ التدوين التاريخي عند العرب في الإسلام .

٢ ـ مادة التدوين التاريخي العربي في مراحله الأولى .

٣ ـ أشهر المدونات التاريخية العربية .

ـ ١ ـ

التدوين التاريخي عند العرب

أ ـ التدوين التاريخي عند العرب قبل الإسلام :

ازدهرت الحضارة العربية قبل الإسلام في بلاد اليمن والحجاز ، ولم يكن العرب بعيدين عن التاريخ ، فكان لكل جماعة طريقها الخاص في التدوين التاريخي وقد وصلنا الكثير من أخبارهم على شكل كتابات ونقوش كان من أهمها كتابات بالخط النبطي والخط الحميري ونقوش من اليمن السعيد بالخط المسند وجدت على مخلفاتهم الأثرية من معابد وقلاع وسدود وأبنية تروي لنا أحداث العرب الماضية وفعالياتهم كأعمال البناء والحملات العسكرية والطقوس الدينية . وكان لهم تقويم خاص بهم هو سنة (١١٥ ق.م) وهو سنة وصول حمير إلى السلطان في اليمن[١] .

ويشير الهمداني في كتابة الإكليل إلى ما «ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها» والي «زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية»[٢] .

ويذكر الدينوري أنه يوجد نسخة لحلف بين اليمن وربيعة في الجاهلية[٣] مما يدل على أنه كان ثمة تسجيل وحفظ لوثائق الأمور العامة ولأهم إنجازات الدولة وتوثيق علاقتها مع الشعوب والدول الأخرى .

وكان لدى عرب الحيرة المناذرة ، كتب تحوي أخبارهم وأنسابهم ، كما

(١) الدوري عبد العزيز : نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٤ .
(٢) الإكليل : ج ١ (ص ٩ ـ ١٣) ج ١٠ (ص ٣٠ ـ ٣١) .
(٣) الدنيوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٥٣ .

كانت لهم نقوشهم التسجيلية ، وكان لعرب بلاد الشام وتدمر والبتراء نقوشهم الخاصة التي ما تزال آثارها شاخصة حتى اليوم .

أما عرب الحجاز ونجد فكان لهم تراثهم الثقافي الشفهي الذي ركز على قصص البطولة وعلى مآثر العرب كالشجاعة والكرم ، وكذلك الحديث عن بيت الله الحرام وزمزم وما كان من أمرها ، وعن سد مأرب ، وكيف تفرّق الناس من حوله بعد انهياره إلى غير ذلك من الحوادث التاريخية وكان العرب في الجاهلية يؤرخون بأيام حروبهم المشهورة كحرب البسوس وحرب داحس والغبراء ، كما كانوا يؤرخون بأحداث جسام ، مثل استيلاء الأحباش على اليمن ، وعام الفيل ، وانهيار سد مأرب ، وظل التاريخ العربي على هذا النحو إلى عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي اعتمد الهجرة النبوية الشريفة سنة يؤرخ بها وتعتبر كبدء للتقويم الإسلامي .

ب ـ التدوين التاريخي عند العرب في الإسلام :

لقد كان فن الكتابة والتدوين التاريخي عند العرب المسلمين في بادىء الأمر يتصل بالحديث النبوي الشريف ، حيث كان الاهتمام عظيماً في معرفة ما رواه الرسول ﷺ إلى جانب معرفة الرواة ، والسبب في ذلك يعود إلى الرغبة الصادقة في التأكد مما يجب أن يؤخذ أو يترك ، وهذا ما أدى إلى ظهور علم التجريح والتعديل وهو ما يعرف اليوم بالنقد الظاهر والباطني لأي نص من النصوص التاريخية .

أما بالنسبة لبداية التدوين عند العرب المسلمين ، فيعتقد أنها كانت في زمن معاوية بن أبي سفيان[1] ، حيث قيل إنه استقدم «عبيد بن شريه» من صنعاء فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضين[1] . ولكن نجد أن التدوين الفعلي قد بدأ حوالي منتصف القرن الثاني الهجري (٩ م) حيث كان الاتجاه العام إلى كتابة التاريخ قد بدأ من ناحيته الخاصة لا العامة . وهي سيرة الرسول ﷺ وقد حدد لنا الذهبي المتوفي سنة (٧٤٨ هجرية) السنة التي بدأ فيها تدوين العلوم العربية

---

(١) المسعودي : مروج الذهب جـ ٣ ، ص ١٤١ .

في الإسلام هي سنة ١٤٣ هجرية (٧٦٠ م) . حيث يقول : «. . . في سنة ثلاثة وأربعين ومائة شرع العلماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير . فصنف ابن جريح بمكة ومالك بالمدينة والأوزاعي بالشام ، وابن عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ومعمر باليمن وسفيان بالكوفة ، وصنف ابن إسحاق المغازي ، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي . . . . وكثر تدوين العلم وتبويبه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة»[1] .

ومن الحقائق العلمية التي يؤكد عليها الذهبي ، أن القرن الثاني الهجري ، هو فترة الانتقال من مرحلة التسجيل «غير المرتب» إلى التصنيف المبوب ، ويمكن أن نلاحظ في نشأة التدوين التاريخي أنه قر بمراحل ثلاث هي :

مرحلة التدوين الأولى : وتبدأ مع بداية العهد الأموي وتستمر حتى نهايته في مطلع القرن الثاني الهجري . وكان اهتمام التدوين فيها متوجهاً بصورة خاصة إلى مواضيع محددة من السيرة النبوية الشريفة ، وقد بدأت عملية التدوين نقلاً عن الشفاه وبعض الوثائق الأثرية والكتب الدينية التي نزلت قبل الإسلام . واشتهر في هذه المرحلة جمهرة من الرواة نذكر منهم : عقيل بن أبي طالب الأخ الأكبر للإمام علي «كرم» الذي كان يروي في مسجد المدينة وعمر بن خولة الملقب بالراوية الفصيح وأبو الخنساء عباد بن كسيب «الشاعر العلامة والراوية النسابة» وغيرهم[2] وعلى يد هؤلاء كانت تجري الخطوات الأولى للانتقال بالتاريخ من حالة المعرفة الشفهية إلى المعرفة الكتابية ، من التاريخ المروي إلى التاريخ المكتوب .

---

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ جـ ١ ، ص ١٥١ ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٥١ ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ .

(٢) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ٢١٤ .

وفي هذه المرحلة ظهر اهتمام الخلفاء بالمعارف التاريخية حيث نجد أن معاوية وكما نوهنا سابقاً أنه أحضر عبيد بن شريه من اليمن ليكتب له ، كما جمع الوليد بن يزيد أخبار العرب على يد حماد الراوية في ديوان خاص . ووضع هشام بن عبد الملك من يكتب له الأخبار وتاريخ ملوك الفرس[1] . ولكن النشاط في تسجيل مثل هذه الأمور التاريخية لم يكن قد أخذ انطلاقته الواضحة لأنه بقي رسمياً لحد ما أو دينياً ولم يصبح تياراً فكرياً ثقافياً واضح التدوين . ومن المتعارف عليه أن العلماء المسلمين لم يؤرخوا أو يدونوا الأحاديث النبوية الشريفة إلا في أيام الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن ، ولهذا السبب انصرف الكثير منهم إلى تدوين السيرة النبوية الشريفة ، الصفحة الأولى من تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، صفحةُ الجهاد في إقامة صرح الإسلام ، وجمع العرب تحت لواء الرسول محمد ﷺ وما يضاف إلى ذلك عن نشأة النبي الكريم وذكر آبائه وما سبق من أحداث لها صلة بنشأته ، من هنا يمكن القول إن كتابة السيرة النبوية الشريفة ، أول عمل من أعمال التدوين التأريخي يقوم به العرب المسلمين .

وبعد ذلك بدأ المؤرخون العرب يؤرخون سيرة الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين وغيرهم من طبقات الفقهاء ورجال الأدب والنحو .

مرحلة التدوين الثانية : وتبدأ من مطلع القرن الثاني الهجري وتمتد حتى نهايته تقريباً . وفي هذه المرحلة اهتم الأخباريون بجمع الأخبار المختلفة كل منها على حدة في كتاب يحمل عنوانه الخاص ، إذ وجد المؤرخون في هذا المجال ميادين هامة لفعالياتهم الفكرية والثقافية ومواضيع مهمة للناس من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لم تطرق سابقاً ، فظهرت جملة من الكتب والرسائل التاريخية التي كان جل اهتمامها بالتاريخ الإسلامي بشكل خاص وتأريخ العرب الجاهلي وتواريخ الأمم الأخرى بشكل عام . ومن مؤرخي هذه المرحلة نذكر :

---

(١) مصطفى ـ شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ج ١ ص ٩٦ .

١ ـ أبو مخنف (ت ١٥٧ هـ) الذي ألف ٣٢ كتاباً ، منها كتب : الردة والفتوح والشورى وصفين والخوارج وغيرها .

٢ ـ سيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) وله مؤلفات عديدة .

٣ ـ هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ) .

٤ ـ الهيثم بن عدي (ت ٢٠٨ هـ) وله ٥٠ كتاباً في أنساب القبائل والخوارج وولاة الأمصار وخطط البصرة وخطط الكوفة وغيرها .

٥ ـ الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) ألف ٢٨ كتاباً . من عنوانيها أخبار مكة ، أزواج النبي ـ سيرة أبو بكر ـ يوم الجمل مقتل الحسين وغيرها .

٦ ـ المدائني : من رواد نهاية هذه المرحلة ، توَّجها بأعمال عظيمة ، حيث ترك لنا مجموعة نفيسة من الكتب التي تناولت في عنوانيها أخبار الجاهلية وأحداث الإسلام ، وأخبار الخلفاء والتاريخ الأدبي والحضاري للدولة العربية الإسلامية[١] .

مرحلة التدوين الثالثة : امتدت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الثالث الهجري وخلالها توطد علم التاريخ العربي الإسلامي ، وتوطدت مناهجه في التدوين من حيث الاعتماد على التسلسل الزمني وجمع المواضيع المتعاقبة على التوالي في كتاب واحد . وظهرت المؤلفات المتخصصة ككتب التراجم والطبقات على اختلاف أنواعها ـ كطبقات الأدباء والأطباء والرسل والملوك ، وظهرت أيضاً الموسوعات التاريخية الكبيرة التي تضم مختلف المواضيع في نسق زمني متصل . ومع ظهور حركة الترجمة والتطور الحضاري الذي حصل في العصر العباسي الأول تطورت الحياة الفكرية وامتلك المؤرخون خبرات إضافية ، جعلتهم أكثر عمقاً وتوازناً في النظرة التاريخية لمختلف الحضارات . من هنا نعتبر أن هذه المرحلة هي المرحلة التي استقر فيها علم التاريخ ، مع نشأة التدوين التاريخي المنظم ، الذي تطور وازداد عمقاً في القرون اللاحقة ، ومن المؤرخين المشهورين في هذه المرحلة ، الهيثم بن عدي الذي وضع أول

(١) مصطفى ـ شاكر : المصدر السابق ص ١٠٠ .

كتاب في التاريخ على أساس السنين محققاً بذلك ثورة في المنهج التاريخي ، ووضع أول كتاب في التاريخ على أساس الطبقات لتراجم الرجال ، وهاتان الخطوتان هما اللتان قُدِّر لهما أن تكونا أساس مناهج التدوين التاريخي العربي الإسلامي وقد احتلت كتب التراجم مكاناً مرموقاً في تاريخ العرب فيما بعد حتى أن عدد ما ألف في هذا المجال على يد العرب يفوق ما ألف لدى الرومان واليونان ، ومن هذه الكتب المهمة : كتاب الطبقات لابن سعد الذي يتعلق بشكل خاص بحياة الرسول ﷺ والصحابة ، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ، وهناك كتاب في هذا المجال للعسقلاني ، هو كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

ومن أعظم المؤرخين شأناً ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) صاحب كتاب : تاريخ الرسل والملوك وأهم ما في هذا الكتاب أنه كتبه على نظام الحوليات فهو يتناول التاريخ سنة بعد سنة . دون العناية بذكر كل الأحداث وكذلك كتب معظم المؤرخين فيما بعد . ومنهم من تجاوز هذه المسألة ودون التاريخ على أساس عقود من الزمن أي كل عشر سنوات ونذكر منهم الحافظ الذهبي بكتابه المشهور تاريخ الإسلام ، ومنهم من كتب التاريخ على أساس حقبات ، كأن تماشي كل حقبة حياة خليفة من خلفاء المسلمين ومنهم اليعقوبي والبلاذري والمسعودي .

ومن المؤرخين العرب الذين وضعوا مصنفات بالدول والحكومات التي قامت في ظل الإسلام نذكر : الدينيوري ، صاحب كتاب الأخبار الطوال . وابن خلدون وكتابه المشهور «العبر» وأشهر ما في هذا الكتاب مقدمته التي تضمنها آراء فلسفية وتحدث عن فلسفة التاريخ وعلم العمران البشري أي علم الاجتماع لذلك يقال إن ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع وواضع أسس فلسفة التاريخ العربي والإسلامي . وأخيراً يمكن القول : إن المؤرخون العرب اعتمدوا في تدوين التاريخ على إبداعاتهم الذاتية واجتهاداتهم الخاصة وكانوا مستقلين في كتاباتهم غير تابعين لحاكم أو سلطان وكتبوا التاريخ بدوافع شخصية فجاءت كتاباتهم أقرب إلى الحقيقة بعيدة عن التعصب والتحد .

ـ ٢ ـ

مادة التدوين التاريخي العربي في مراحله الأولى

من خلال ما وصلنا من مؤلفات وكتب للمؤرخين في المراحل الثلاث التي مرّ ذكرها ، يمكن أن نستنتج أن المنابع التي استقى منها المؤرخون معلوماتهم كانت متنوعة وعديدة أهمها .

١ ـ القرآن الكريم : قدم القرآن الكريم مادة تاريخية هامة حيث جاء فيه الكثير من القصص فيها ما تناول حياة الرسل والأديان السماوية والأقوام القديمة وأهل الكهف والإسكندر ذو القرنين وغيرها .

٢ ـ السيرة والمغازي .

٣ ـ أحداث التاريخ الإسلامي .

٤ ـ أخبار العرب قبل الإسلام .

٥ ـ الكتب السماوية (التوراة والإنجيل) .

٦ ـ تاريخ الأمم الأخرى كاليونان والرومان والفرس والهند والصين .

ـ ٣ ـ
أشهر المدونات التاريخبة العربية

دون العرب أنواعاً مختلفة من المدونات التاريخية يمكن تصنيفها إلى نوعين هما : التاريخ العام والتاريخ الخاص .

١ ـ التاريخ العام :

يتناول معظم نواحي الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية والعمرانية . ونصنف تاريخ الطبري ضمن هذا التاريخ وكذلك ابن الأثير في كتابه الكامل وتاريخ أبي الفداء وتاريخ ابن خلدون .

٢ ـ التاريخ الخاص :

ويختص بتاريخ دولة من دول الإسلام أو تاريخ مدينة مشهورة ، أو يتناول حياة خليفة أو مجموعة خلفاء . وهكذا فإن التاريخ الخاص لم يشمل بين طياته مختلف نواحي الحياة . ومن الأمثلة على هذا النوع من التاريخ نذكر تاريخ الخلفاء للسيوطي وكتب الأزرقي والفاكهي عن تاريخ مكة والخطيب البغدادي عن تاريخ بغداد ، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .

ولا بد أن نشير إلى بعض البلدانيين العرب الذين كتبوا في موضوع مهم له علاقة بالتاريخ هو علم البلدان أهمهم :

١ ـ البلاذري : فتوح البلدان توفي عام ٩١٣ م .
٢ ـ اليعقوبي : كتاب البلدان توفي عام ٨٩٧ م .

٣ ـ ابن خرداذبة : المسالك والممالك توفي عام ٩١٣ م .

٤ ـ الهمداني : كتاب الإكليل وكتاب صفة جزيرة العرب توفي عام ٩٤٥ م .

٥ ـ الإصطخري : صور الأقاليم وكتاب مسالك الممالك توفي عام ٩٥٧ م .

٦ ـ ابن حوقل : المسالك والممالك توفي عام ٩٧٧ م .

٧ ـ ابن النديم : الفهرست توفي في حدود ١٠٠٠ م .

٨ ـ البيروني : الآثار الباقية توفي عام ١٠٤٨ م .

٩ ـ البكري : معجم ما استعجم توفي عام ١٠٩٤ م .

١٠ ـ الإدريسي : نزهة المشتاق توفي عام ١١٦٥ م .

١١ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان توفي عام ١٢٢٩ م .

١٢ ـ القزويني : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات توفي عام ١٢٨٣ م .

١٣ ـ أبو الفداء : تقويم البلدان توفي عام ١٣٣١ م .

١٤ ـ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة توفي عام ١٣٧٧ م .

١٥ ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار توفي عام ١٤٤١ م .

وأخيراً يمكن القول : إن المنهج العربي في كتابة التاريخ قد انتقل إلى أوروبا في القرون الوسطى حيث سار علماء التاريخ من الأوروبيين على خطى العرب في كتابة الحوليات والتراجم وغيرها من ضروب التأليف التاريخي .

وعلى الرغم من تطور طرق البحث العلمي في أوروبا في القرنين الأخيرين ، فقد بقيت الملاحظة المباشرة وشهود العيان ، العرف الأساسي عند علماء مناهج البحث العلمي في العصر الحديث .

الباب الثالث

طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار

الفصل الأول

١ ـ مناهج البحوث العلمية .
٢ ـ جمع المصادر .
٣ ـ كيفية البحث عن المصادر .

ـ ١ ـ

مناهج البحوث العلمية

تنوعت مناهج البحوث العلمية بحسب الموضوعات التي تتناولها وأصبح لكل علم وفرع من المعرفة منهج بحث (METHODOLOGY) خاص به ، فهناك منهج للرياضيات ومناهج خاصة للعلوم الأخرى سواء كانت علوماً طبيعية أو إنسانية ، وكل منهج يختلف عن الآخر في الأساليب والطرق التي يتبعها في جمع معلوماته وتفسير هذه المعلومات ووضع القوانين والنظريات الخاصة بها ومع أن معظم مناهج البحوث المختلفة تشترك في اتجاهها العام في طريق التحري والبحث ، واستنادها إلى أسس المنطق الاستقرائي والاستنتاجي . بيد أنه يوجد اختلاف في طبيعة الموضوعات التي يبحث فيها كل من تلك الحقول وجمع الحقائق والمعلومات .

فهناك بحوث علمية تحتاج إلى المختبر وتعتمد على التجارب في جمع معلوماتها واستخراج القوانين والقواعد العامة التي تفسر الحقائق التي تبحث فيها وهناك علوم تختلف في طبيعة المادة والمصادر التي يعتمد عليها في استخراج الحقائق كالعلوم الإنسانية وخاصة علم التاريخ وعلم الآثار اللذان يعتبران من العلوم الوثائقية (DOCUMENTARY SCIENCES) .

ويقصد بمناهج البحوث العلمية ، مجموعة الطرق والأساليب والقواعد التي يتولى الباحثون تطبيقها في مجال بحوثهم ودراساتهم من أجل الكشف عن الحقائق الخاصة بعلمهم والتثبت من صدق الأقوال والقوانين ، سواء تلك التي توصّل إليها من سبقهم من الباحثين والعلماء أو تلك التي يتوصلون إليها من

خلال مزاولتهم لعلمهم ، وأهم مناهج البحوث العلمية هي :

١ ـ منهج البحث في العلوم الرياضية والفلكية :

ويقصد بها مجموعة الطرق والأساليب والقواعد الاستدلالية والبرهانية المستخدمة في علم الهندسة وعلم الجبر وعلم الحساب وعلم الفلك ، وأساس هذه العلوم هو البرهان أو البحث عن الحل واستنباط المجهول من خلال المعلومات المتوفرة .

٢ ـ منهج البحث في العلوم الطبيعية :

ويقصد بها مجموعة الطرق والأساليب والقواعد الاستقرائية المستخدمة في العلوم الطبيعية ، مثل علم الطبيعة أو الفيزياء وعلم الكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات وعلم المعادن والأحجار . والتي تعتمد على التجربة المختبرية والملاحظة الدقيقة وطرح الفروض واختبارها وصولاً إلى صياغة القوانين .

٣ ـ منهج البحث في العلوم الطبية والصيدلانية :

يقصد بها مجموعة الطرق والأساليب والقواعد التي يعمل بها من خلال الممارسة العملية والاعتماد على التشريح ودراسة وظائف الأعضاء واستخدام أسلوب التشخيص إضافة إلى منهج العلة والمعلول ، واستخدام التجربة المختبرية في إعداد الأدوية وتحضيرها من مصادر مختلفة .

٤ ـ منهج البحث في العلوم الإنسانية :

ويقصد بها مجموعة الطرق والأساليب والقواعد التي يعتمدها الباحث من أجل الكشف عن الحقائق الخاصة بكل علم ؛ ولتعدد فروع العلوم الإنسانية ، نجد أن كل فرع منها له منهج بحث علمي خاص به . والذي يهمنا في هذه الدراسة منهج البحث في التاريخ والآثار ، وسيكون شرح هذا المنهج موضوع هذه الدراسة التي سنفصلها في الفصول الآتية . ولكنه يكون من المفيد لو نحن : نوهنا بالإيجاز عن طبيعة هذا المنهج . وأول ما يذكر اختلاف التاريخ عن بعض العلوم وبوجه خاص العلوم الطبيعية والرياضية والعلوم الطبية . من

حيث أنه يتعذر عليه إجراء التجربة لأنها مستحيلة في التاريخ ، حيث أن المؤرخ لا يستطيع أن يعيد أو يستعيد الحوادث الماضية التي زالت وانمحت ، ولم تترك لها إلا أصداء في البقايا التاريخية من آثار ووثائق مدونة ، كما أنه لا يستفيد من الملاحظة المباشرة ولا من الاستدلال العقلي المجرَّد كما في العلوم الرياضية . بل إنه يبحث فيما خلفه الإنسان لمعرفة أحوال الماضي ، وفهم تطور الإنسان والقوانين التي تتحكم في هذا التطور . وبعبارة أخرى ، معرفة الإنسان ، ولكن ليس الفرد الإنساني الذي هو موضوع دراسة علوم أخرى ، كعلم النفس وعلم الإنسان إنما المقصود هو دراسة الطبيعة البشرية وحدود إمكاناتها وخصائصها والقوانين الاقتصادية والاجتماعية التي تسيِّر الإنسان وهو في المجتمع ، ولكن هذه القوانين لم تبلغ دقة القوانين التي تتوصل إليها العلوم المضبوطة من حيث اطرادها والتنبؤ بها ، وفي مقدمة أسباب ذلك أن قانون العلية أو السببية في الأحداث الاجتماعية والتاريخية متناه في التعقيد ، فإن الحادثة التاريخية مهما بلغت من البساطة إنما تقع بفعل سلسلة متشابكة من الأسباب والعلل ، بخلاف الحوادث الطبيعية التي يبحث فيها علماء الطبيعة ، حيث تكون أسبابها والعلاقات ما بينها سهلة الاكتشاف ، إذا ما قيست بالحوادث التي يبحث فيها المؤرخ ، والتي تعتبر أفعال تصدر عن فاعلين يتصفون بالفكر والقصد والحوافز المعقدة ، ولكن مع ذلك فإن معظم حوادث التاريخ والمجتمع ليست فوضى أو حوادث فردية لا ضابط لها . وإنما تقع في حقيقة كون الإنسان يعيش في مجتمعات تتحكم فيها الأنظمة الاجتماعية وإلا لما أمكن أن ينشأ ما نسميه بعلم الاجتماع والعمران .

إن العلاقة المتبادلة بين فرعي البحث في التاريخ والآثار وثيقة جداً ، وهي ليست علاقة جزئية ، بل علاقة كلية ، فحين يراد البحث في تاريخ الشعوب الموغلة في القدم والتي عاشت في مرحلة ما قبل التدوين ، لا بُدَّ لعالم التاريخ أن يعود إلى مخلفات تلك الشعوب وآثارها ، ليتعرف من خلالها على تاريخ تلك الحقبة وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية .

وفي حالة وجود نقص ما في تأريخ آثار معينة أو معلومات غير واضحة عن مكان ما أو شخصية معينة ، لا بدّ من العودة إلى المصادر التاريخية لسدّ الثغرة الحاصلة نتيجة النقص في المعلومات الأثرية .

ومن هنا تأتي عملية الربط الجدلي بين الوثائق المدونة والوثائق المادية ، لاتباع منهج بحث علمي موحد في علم التاريخ وعلم الآثار الذي سيكون موضوع دراستنا هذه .

ـ ٢ ـ
جمع المصادر

إن أول مرحلة من مراحل البحث العلمي في التاريخ أو الآثار هي جمع المصادر المتعلقة بالموضوع بصورة مباشرة أو القريبة من الموضوع المبحوث فيه ، وتقسم المصادر إلى نوعين هي :

١ ـ المصادر الثانوية .
٢ ـ المصادر الأصلية .

١ ـ المصادر الثانوية :

هي مجموعة الكتب والبحوث والمقالات الحديثة التي تتناول الموضوع المبحوث فيه ، وسواء كان الباحث من الطلاب المبتدئين أم من المتخصصين المتمرسين ، فلا يستغني كل منهما عن الرجوع في أولى مراحل البحث ، إلى تلك البحوث والمؤلفات التي كتبت عن نفس الموضوع أو القريبة منه بشكل مباشر أو غير مباشر ، لأن الاطلاع على ما كتب في أي موضوع تاريخي هو من مستلزمات البحث التاريخي للاسترشاد بما كتب ونقده والاهتداء به ، وكذلك للاستفادة بما تذكره تلك المؤلفات من المراجع والمصادر الخاصة بالموضوع .

٢ ـ المصادر الأصلية :

وتقسم إلى نوعين هما :

١ ـ المصادر المدونة .
٢ ـ المصادر المادية .

١ ـ المصادر المدونة :

بدأ ظهور الوثائق المدونة في تاريخ الإنسان مع بداية التدوين التاريخي ، قبل خمسة آلاف سنة ، أي في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد . في كل من وادي النيل ووادي الرافدين[١] .

فكانت الكتابة المسمارية في العراق القديم والكتابة الهيروغليفية في مصر ، وكشفت التنقيبات الأثرية التي أجريت في هاتين الدولتين عن مجاميع كبيرة من النصوص والوثائق المدونة التي تعتبر أقدم مصادر في التاريخ ، وتتضمن هذه الوثائق طائفة كبيرة من سجلات المعاملات التجارية والاقتصادية التي تتناول شؤون الحياة المختلفة كالبيع والشراء والقروض ، والعقود المختلفة بالأحوال الشخصية ، كعقود الزواج والطلاق ، وسجلات المحاكم . وسجلات رسمية مهمة تتعلق بأعمال الحكام والملوك والرسائل الرسمية والشرائع المدوّنة ، وما كانوا يقومون به من أعمال عمرانية وحملات حربية وما كانوا يعقدونه من معاهدات مع الأمم الأخرى . وهناك أيضاً مجموعات مهمة من النصوص الأدبية كالقصص وملاحم البطولة والأساطير والشعائر الدينية والتراتيل . وما سُجل في حقل العلوم والمعارف ، كالرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والنصوص الطبية وغيرها .

وما ينطبق على الوثائق المدونة في كل من مصر والعراق ينطبق على جميع الوثائق المدونة لدى الشعوب والأمم الأخرى ، والتي تتعلق بالموضوع المبحوث فيه .

٢ ـ المصادر المادية :

وتشمل جميع المخلفات المادية التي جاءت إلينا من الماضي ، سواء كان هذا الماضي قريباً أو بعيداً منذ عصور ما قبل التاريخ الموغلة في القدم ، وأقدم تلك العصور ، العصور الحجرية والتي كانت مخلفاتها محدودة كماً ونوعاً وتقتصر على بعض الأدوات الحجرية كالفؤس اليدوية والنصال والسكاكين

---

(١) حضارة العراق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢ .

الحجرية ، وبعض الأدوات البسيطة المصنوعة من عظام الحيوانات ومن بين المخلفات المادية المهمة من عصور ما قبل التاريخ ، البقايا العظمية ، سواء كانت عظام الحيوانات التي عثر عليها مع بقايا الأدوات الحجرية ، وبعض المتحجرات النباتية ، التي يمكن أن يُستنتجُ منها أموراً مهمة ، عن أحوال المناخ والبيئة ، التي عاشت فيها الأنواع القديمة البائدة للإنسان ، والاستعانة بها ، في تحديد أزمان الطبقات الأثرية الجيولوجية ، التي يعثر عليها فيها ، ونذكر أيضاً بوجه خاص بقايا الهياكل العظمية لأنواع الإنسان القديمة التي عاشت في تلك الأزمان السحيقة ودراستها للوقوف على تطور الإنسان البيولوجي ، حتى ظهور جدّ نوع الإنسان الحديث قبل نحو ٥٠,٠٠٠ عام ، الذي يطلق عليه مصطلح الإنسان العاقل .

وتنوعت وكثرت البقايا المادية في عصور ما قبل التاريخ التي أعقبت العصر الحجري القديم ، ابتداءً من العصر الحجري الحديث الذي حدث فيه أعظم انقلاب في حياة الإنسان حيث بدّل حياته تبديلاً جوهرياً ، إذ تعلّم إنتاج قوته بيده بالزراعة وتدجين الحيوان ونشوء أولى القرى الفلاحية البسيطة وبيوت السكن الطينية والأكواخ الثابتة وصناعة أدوات حجرية أخرى كالمناجل الصوانية لحصد الغلال ، والرحى وأقراص الغزل الطينية والحجرية ، ورؤوس السهام ، والأدوات الصوانية ، والأواني الفخارية الساذجة ، التي تطورت في الأدوار التالية إلى صناعة فخارية جميلة تتميز بتلوين الفخار وزخرفته .

وبعد ظهور الحضارة الناجحة في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد وأقدمها حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل ، ثم الحضارات الأخرى اللاحقة التي أعقبتها ، كثرت وتنوعت المصادر المادية . حيث ظهرت بيوت السكن والمعابد والأهرام والزقورات[1] والفنون بمختلف أنواعها كالنحت والزخارف والنقوش والفنون المعدنية ، والجسور والقناطر وقنوات المياه وغيرها من

---

(١) الزقورات : هي الأبراج المدرجة وأول ما ظهرت في العراق القديم .

البقايا المادية التي تكوّن مصادر أساسية مهمة ، يستطيع الباحث التاريخي في درسها أن يكوّن صورة شاملة عن الحقبة أو العصر الذي يدون تاريخه وفيما يلي نذكر أهم البقايا المادية ابتداءً من ظهور صناعة الفخار في النصف الثاني من العصر الحجري الحديث وبوجه خاص في منطقة الشرق الأدنى في حدود ٦٠٠٠ ق.م .

١ ـ الأواني الفخارية .
٢ ـ المنحوتات .
٣ ـ العمائر على اختلاف أنواعها .
٤ ـ الصناعات المعدنية والصياغة والحلي .
٥ ـ الزخارف والأختام الاسطوانية .
٦ ـ الأسلحة والأدوات والآلات المنزلية .

وفي التاريخ الحديث نذكر :
١ ـ الفرمانات .
٢ ـ سندات الطابو والتملك ووثائق البيع والشراء .
٣ ـ الوثائق الرسمية ، كالتقسيمات الإدارية وسجلات الجباية والواردات الرسمية .

٤ ـ الصحف والمجلات ، وفي بعض الأحيان موضوعات روايات المعمرين ممن واكب الأحداث ، وأخبار تأسيس المدن الحديثة ، وإقامة مشاريع الري ، وغيرها من المشاريع الأخرى .

ـ ٣ ـ

كيفية البحث عن المصادر

من البديهي أن يكون الباحث التاريخي عارفاً وملماً بمجاميع الوثائق والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه وأماكن حفظها ، وعلى اطلاع بمجموعات السجلات والأرشيفات والبيبلوغرافيات (BIBLEOGRAHIES) بالإضافة إلى كونه متمرساً بأساليب جمع المادة المستخرجة من تلك الوثائق .

إن الخطوة الأولى التي يجب أن يتبعها الباحث في جمع معلوماته من هذه المصادر هي الحصول على تلك المصادر من الأماكن المودعة فيها ، والمبوبة والمفهرسة وفق أحدث الأساليب العلمية المتبعة في تنظيم المكتبات والأرشيفات وغيرها من المراكز العلمية المتبعة في تنظيم المكتبات والأرشيفات وغيرها من المراكز العلمية المختلفة في العالم . ومن البديهي أن يكون الباحث التاريخي الساعي وراء جمع المصادر سواءً كان مبتدئاً أم متقدماً ، عارفاً بطرق فهرسة المكتبات ؛ فبعض المكتبات تصنف في جرارات كتبها حسب أسماء المؤلفين ، فينبغي أن يكون الباحث عارفاً باسم مؤف الكتاب وعنوانه ، وبالإضافة إلى فهرسة الكتب حسب المؤلفين ، فهرستها حسب الموضوعات المختلفة ، وهذا مما لا شك فيه خير ما يساعد الباحث على التعرف على المصادر التي تناولت موضوع بحثه ، وهناك مكتبات اتسعت في أسلوب الفهرسة العلمية بحيث لم تكتف بفهرسة الكتب حسب موضوعاتها بل إنها تناولت في الفهرسة أيضاً البحوث المنشورة في المجلات المختلفة .

إلى جانب زيارة المكتبات المختلفة يجب على الباحث زيارة المتاحف

التي تحتوي على مجموعات مادية مختلفة وذلك للتعرف على الآثار والمحتويات المتحفية ، وليكوّن استنتاجات جديدة ، وليعطي أحكاماً أكثر دقة وأصالة من خلال المصادر المادية الملموسة .

ورغم تيسر المصادر المدونة والمصادر المادية ، على الباحث التاريخي ألا يظن أن البحث عن تلك المصادر هو من الأمور السهلة فكثيراً ما يتطلب من الباحث أن يشد الرحال إلى بلدان مختلفة توجد فيها وثائق غير متيسرة في بلده ، أو أن يكلّف من ينوب عنه للقيام بهذه المهمة وفي كلتا الحالتين يوجد صعوبة ومشقة على الباحث .

وفي بعض الأحيان يستدعي من الباحث جمع معلوماته من مصادر أجنبية لا يجيد لغتها مما يضطره إلى ترجمتها لتكون واضحة ومفهومة لديه ، وفي هذا أيضاً صعوبة .

وقد يحتاج الباحث إلى الإطلاع على السجلات والوثائق الرسمية التي يصعب الوصول إليها إلا بترخيص من الجهة الرسمية المسؤولة عن تلك الوثائق ، وفي جميع الأحوال على الباحث أن لا ييأس نتيجة العقبات التي تعترضه وهو يسعى للحصول على المصادر بل عليه أن يجد في الحصول عليها مهما بذل من جهد ومن مال ليقدم للقارىء معلومات كافية عن موضوع بحثه .

وإذا كان موضوع البحث يتناول بلد ما أو مدينة معينة أو أي مكان من الأمكنة ، من الضروري زيارة ذلك المكان للاطلاع على معالمه ميدانياً ، لتكون الرؤية واضحة ويكون الوصف أدق وأعمق مما لو اطلع الباحث على طبيعة المكان ومواصفاته من الرسوم والصور في الكتب أو المجلات .

وقد يحتاج الباحث إلى القيام بمقابلات شخصية لبعض الأشخاص المطلعين على بعض الجوانب من موضوع بحثه أو لهم علاقة مباشرة بالموضوع . فعليه أن يشد الرحال إليهم مهما كانوا بعيدين عن مكان تواجده وذلك أقرب إلى الموضوعية وأقرب إلى الحقيقة .

الفصل الثاني

١ ـ نقد النصوص .

أ ـ النقد الظاهري .

ب ـ النقد الباطني .

٢ ـ الاجتهاد .

١ ـ الاجتهاد الموجب .

٢ ـ الاجتهاد السالب .

٣ ـ مرحلة التركيب والتأليف والعرض .

ـ ١ ـ

نقد النصوص

إن المرحلة الأولى التي تهتم بجمع الأصول والمصادر ، تضع في أيدي الباحثين المادة الأساسية لبحوثهم ، ولكي تكون هذه المادة محلاً للثقة والاعتماد عليها في البحث التاريخي ينبغي على الباحث الانتقال إلى الخطوة التالية وهي مرحلة نقد المصادر التي جمعها .

والنقد عبارة عن تمحيص المصادر والوثائق من حيث إثبات أصالتها وصحتها أو تزويرها ومعرفة مؤلفيها وشهرتهم من حيث الاتصاف بالأمانة أو خلاف ذلك ، وفهم لغتها ، وتحري صدق ما جاء فيها من المعلومات ومدى مطابقتها للحقيقة والواقع . ويمكن تأكيد القول إن مرحلة النقد التأريخي هي الأساس العلمي الذي يقوم عليه التأريخ العلمي الصحيح .

أنواع النقد :

يقسم النقد إلى نوعين هما : النقد الظاهري والنقد الباطني .

أ ـ النقد الظاهري :

ويهدف إلى جملة من الأمور أهمها :

١ ـ التحقق من أصالة الوثيقة ونسبتها إلى مؤلفها وأنها غير مزورة أو مزيفة أو منحولة .

٢ ـ معرفة مؤلف الوثيقة وتعيين شخصيته وزمانه ومكانه وتحديد علاقته بالأخبار التي يرويها وقرب زمانه أو بعده من أزمان تلك الأخبار أو الأحداث .

٣ ـ التحقق من أن نسخة الوثيقة التي بين أيدينا هي النسخة الأصلية التي

كتبت بخط المؤلف . أو أنها إحدى النسخ التي استنسخت عنها ، وفي هذه الحالة يجب معرفة مدى صلتها بالنسخة الأصلية أو ما يسمى بالنسخة الأم .

١ ـ التحقق من أصالة الوثيقة :

هناك عدة طرق وأساليب يجب اتباعها من قبل الباحث التاريخي للتحقق من أصالة الوثيقة ونسبتها إلى مؤلفها ، وهذه الطرق والأساليب تستدعي بذل الجهد واعمال الفكر والمنطق والاستدلال ، وأهم هذه الطرق هي :

أ ـ معرفة خط الوثيقة ونوع القلم المدوّن بها ، فالخطوط وأنواع الأقلام تتغير من عصر إلى آخر ، وإذا عرفنا نوع الأقلام والخطوط التي كانت سائدة في العصور التاريخية يمكننا تحديد زمن الوثيقة من خلال الخط الذي دونت به ونوع القلم الذي خطت به .

ب ـ معرفة ورق الوثيقة ونوع الحبر المستعمل في تدوينها . فقد استنبط الباحثون المختصون عدة طرق لفحص ورق الوثائق لمعرفة الزمن الذي صنع فيه ، من خلال تركيبه الكيمياوي وتوزيع أليافه ، وبالنسبة لحبر يتم فحص مزيجه الكيماوي والأجزاء المكوّن منها كالفحم والكربون .

ج ـ يمكن بالفحص المجهري التعرف على الأثر الذي تركه القلم في خط الوثيقة ، فيعرف مادة صنعه ، هل هو من القصب أم غيره من المواد المستعملة أقلاماً .

د ـ التعرف على الأساليب والتعبيرات اللغوية واستعمال المصطلحات الفنية التي تتميز وتتغير من عصر إلى عصر ويصدق ذلك بوجه خاص على الأساليب اللغوية التي يتبعها المؤرخون العرب في العصور المختلفة ويدخل في ذلك معرفة زمن المؤلفات والوثائق الأدبية .

فتعبيرات العصر الجاهلي في الشعر والخطابة غيره في صدر الإسلام ، حيث دخلت مصطلحات دينية كثيرة وكذلك يقال عن العصر الأموي والعصر العباسي ، والعصور المتأخرة التي حلّت فيها ركاكة التعبير أو الإغراق في الصناعات اللفظية .

هـ ـ في حالة الوثائق الرسمية التي يدخل فحصها ضمن علم «الدبلوماتيك» أو الختوم الرسمية وكذلك الصيغ الرسمية المستعملة فيها فإن لكل عصر أنواعه الخاصة .

و ـ طريقة الحد الأعلى والحد الأدنى لزمن الوثيقة .

هناك طريقة منطقية في منهج البحث التاريخي لتحديد زمن الوثيقة بصورة تقريبية ، وهي الطريقة التي يُطلق عليها مصطلح الحَدَّيْن الأعلى والأدنى لزمن الوثيقة ، أي استنتاج بداية الأصل التاريخي ونهايته ، بدرس الأحداث المذكورة فيه .

فيعيّن الزمن الذي لا يمكن أن يكون قد دون قبله ، والزمن الذي لا يمكن أن يكون قد دوِّن من بعده ، ومع أن الوثيقة تدوّن بعد آخر حادثة ذكرت فيها وليس قبل أقدم حادثة وردت فيها ، فإن الباحث يضع الوثيقة ما بين هذين الزمنين الأقصى والأدنى . كما أن انقطاع ذكر حوادث مهمة أخرى بعد آخر حادثة يذكرها المؤلف لا يمكن تفسير إغفالها إلا بأن المؤلف ألَّف وعاش قبلها .

ب ـ معرفة مؤلف الوثيقة :

من المهم جداً تعيين شخصية مؤلف الوثيقة التاريخية وزمانه ومكانه ، فالوثيقة التي لا يعرف مؤلفها وزمانه ومكانه ، ليست مصدراً يعتمد عليه كل الاعتماد في كتابة التاريخ .

فمن البديهيات في منطق البحث أن قيمة الأخبار والروايات التي ترد في الوثيقة لها صلة كبيرة بشخصية كاتبها وشهرته ومكانته ، من حيث الإطلاع والأمانة والصدق ، أو الدسّ والتزوير .

فقد تكون الأخبار كاذبة مزورة إما تعمداً أو منسوبة إلى مؤلف مزعوم ، لأغراض كثيرة ، كشهرة المؤلف المنسوبة إليه ، من أجل توثيق أخبار مدسوسة .

ولهذا فإن معرفة شخصية مؤلف الوثيقة يتوقف عليها حكم الباحث ،

على صحة ما جاء بها من روايات وأخبار ، وفي التاريخ أمثلة عديدة على مؤلفين قدماء جانبوا الحقيقة التاريخية إكراماً للحكام والخلفاء والأمراء المعاصرين لهم .

إن كل ذلك وغيره يكشفه معرفة الباحث عن زمن تأليف الوثيقة وشخصية مؤلفها وعلاقته بالسلطة الحاكمة ، إذ من المتوقع أن يكون بعض المؤرخين قد انحازوا إلى السلطة المعاصرة لهم ، ولهذا يمكن القول إن التاريخ الذي يدوّن عن أعمال الحكام من بعدهم ، يكون أكثر اعتماداً وأقرب إلى الواقع[١] .

ومع أن معرفة شخصية مؤلف الوثيقة ذات أهمية كبرى بيد أن معرفة شخصيته يتوقف بالدرجة الأولى على معرفة الزمن الذي عاش فيه من خلال كتب السير التاريخية ، ومقارنة ما جاء في الوثيقة من الأحداث والأخبار بالروايات المعروفة نسبتها إلى بعض المؤرخين المعروفين ومن البديهي أن موضوع تحقيق شخصية مؤلف الوثيقة وزمنه يقتصر في حالة وجود نقص في الوثيقة وزوال المعلومات المهمة منها .

جـ ـ التحقق من أن نسخة الوثيقة التي بين أيدينا هي النسخة الأصلية .

لأن ظاهرة تزوير الوثائق كانت شائعة في العصور القديمة والوسطى وقد يكون التزييف دقيقاً يصعب اكتشافه لأن بعض المزيفين يجعل التزييف وكأنه موثقاً بالمصادر المزعومة .

ومن قبيل هذه الظاهرة الخادعة بالانتحال والتزوير درج المؤرخون القدامى على انتحال موارد تاريخية أو أجزاء من مؤلفات سابقيهم برمتها دون الإشارة إلى ذلك[٢] .

ولأهمية معرفة هذه الظاهرة سنفرد بحثاً خاصاً لتحقيق المخطوطات ونشرها .

---

(١) باقر ، طه : المصدر السابق ص ٨٨ .

(٢) باقر ، طه : المصدر السابق ، ص ٩٣ .

ب ـ النقد الباطني (INTERNAL CRITISM) :

يعني النقد الباطني بالتفسير والتحليل (ANALYSIS)للوثائق والمصادر التي تم جمعها وللمعلومات التي وردت فيها ويقسم النقد الباطني إلى نوعين هما :

١ ـ النقد الباطني الإيجابي .

٢ ـ النقد الباطني السالب .

١ ـ النقد الباطني الإيجابي[1] :

إن الهدف الأساسي من هذا النقد هو معرفة وفهم المعنى اللغوي للوثيقة ، أي فهم أقوال المؤلف وتعبيراته ومصطلحاته الخاصة ، فإن لكل مؤلف أسلوبه في التعبير ولكل مصدر أو وثيقة تاريخية تعابير ومصطلحات بحسب الموضوعات التي تعالجها . وعلى الباحث أن لا يقتصر فهمه للمعنى اللغوي الظاهري ، بل عليه أن ينتقل من هذا المعنى إلى المعنى الاصطلاحي . ومن المعروف أن المفردات اللغوية تتغير من عصر إلى عصر ومن علم إلى علم ومن مؤلف إلى آخر ، وينبغي ملاحظة الاستعمالات المجازية في اللغة والاستعارات والأساليب البلاغية المعروفة .

ويتضمن النقد الباطني الإيجابي أيضاً ، فهم الخطوات الأساسية التي سلكها المؤلف ، وهل كان شاهد عيان للأحداث التي سجلها أو أنه نقل عن غيره ، وينبغي على الباحث تجنب تفسير التعبيرات الواردة في الوثيقة التاريخية وفق تصوراته أو ميوله الخاصة وانحيازه التاريخي .

فيرفض دون وعي الآراء التي لا تنسجم مع أفكاره وميوله فيجعل نص الروايات فوق ما يحتمله المعنى الأصلي .

وعلى الباحث أن يبتعد عن التصديق المطلق لكل ما ورد في الوثيقة بل يجعل الشك منطلقاً له للوصول إلى الحقيقة شرط أن لا يسرف في ذلك الشك بحيث يحمل معاني الألفاظ الظاهرية فوق ما تتحمله .

---

(١) راجع باقر ـ طه : المصدر السابق ، ص ٩٤ ـ ٩٨ .

وعندما يطمأن الباحث إلى أنه أدرك المعنى الحقيقي للنص التاريخي في الوثيقة التي يبحث فيها فإنه ينتهي عندها من عملية النقد الباطني الإيجابي[1] .

ولكن هذه المرحلة ليست نهاية المطاف والتوقف عندها يضع الباحث في مزالق تاريخية ، لأن إدراك معنى النص وحده لا يزودنا بالمعلومات التي تفيدنا في البحث ، حتى في تلك الحالات التي يكون فيها مؤلف الوثيقة شاهد عيان للحوادث التي يرويها ، فإن هذا ليس ضماناً لصحة الروايات التي يرويها ، وقد يختلف شهود عيان لحادثة معينة في وصفهم لها لأسباب معينة .

ويجب أن تزداد شكوك الباحث التاريخي في روايات الوثائق التي يستقي مؤلفوها رواياتهم من مصادر أخرى ، ومرد ذلك إلى عدة عوامل : منها خطأ الناقل أو التزوير المتعمد للوثيقة أو عدم فهم نصوصها من قبل الناقل عنها[2] .

٢ ـ النقد الباطني السالب :

يستند هذا النقد في جوهره على الشك وتحري أقوال مؤلف الوثيقة ، من حيث صحة رواياته أو كذبها ، تعمداً أو انخداعاً ، أي أن جوهر النقد السالب هو معرفة ما أورده مؤلف الوثيقة التاريخية من معلومات ومدى قربها من الواقع والحقيقة ومما تجدر ملاحظته في تحري الأحداث التي ترويها الوثائق التاريخية ، أن بعضها مبالغ فيها ، وخاصة المبالغة في الأرقام مثل عدد الجيوش وعدد قتلى الأعداء وأسراهم .

وكثيراً ما يعمد بعض المؤرخين إلى التمويه في حالات الانهزام التي تحل في جيوش من هم موالين لهم .

ومن قبيل ذلك المبالغة المفرطة في أعمار الأنبياء والشخصيات التاريخية الموغلة في القدم والمبالغة في سني حكم الملوك القدامى[3] .

---

(١) رستم ـ أسد : مصطلح التاريخ ، ص ٧١ ـ ٨٥ .
(٢) باقر ـ طه : المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(٣) ابن خلدون ـ المقدمة ، ص ٢٠ ـ ٥٠ .

ولعل من بين الدوافع إلى ذلك ، ما درج عليه الناس من التعلق بالماضي وأمجاده والتصور على أنه الماضي الذهبي ، وأن ، أحداثه وأعمار الناس فيه كانت خارقة مما يجعلها أقرب إلى الملاحم البطولية والأساطير الخيالية ، وهناك عوامل أخرى تجعل مدوني الوثائق التاريخية يبتعدون عن الصدق في رواياتهم ، أهمها :

١ ـ المنفعة الشخصية : في بعض الحالات يبتعد مؤلف التاريخ عن الحقيقة مجاراة للحكام أو أصحاب النفوذ الذين يروي عنهم لتحقيق مآرب شخصية مادية كانت أو معنوية .

٢ ـ قد يكون مؤلف الوثيقة قد أرغم على الكذب والتزوير من جهات أخرى بدوافع سياسية أو مذهبية أو غيرها .

٣ ـ قد يحاول مؤلف الوثيقة تمجيد نفسه أو تمجيد غيره من الأفراد أو الجماعات ، لأسباب مختلفة فيعمد إلى التزوير وتشويه الحقيقة .

٤ ـ قد يكتفي المؤلف بسماع ما رواه له الآخرين عن أحداث معنية دون أن يكلف نفسه بمشاهدة الحدث فتكون عملية نقل المعلومات بالسماع ناقصة ومشوهة .

٥ ـ قد يكون العجز في التعبير اللغوي عن الأحداث مصدر تشويه لبعض الأحداث التي ينقلها لنا بعض المؤرخين رغم حسن نية المؤرخ في توخي الأمانة والصدق .

وهناك أسباب أخرى تدفع المؤرخين بتشويه الحقائق عمداً أو عن غير قصد ، لذا يجب على الباحث معرفة المؤلف وظروفه السياسية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما يحيط به من تأثيرات سلبية أو إيجابية ساهمت في نقل رواياته للأحداث بالصورة التي نقلها لنا . من هنا تأتي أهمية النقد الباطني السالب للوثائق التاريخية التي نعتمد عليها في نقل معلوماتنا .

ـ ٢ ـ

الاجتهاد (REASONING)

تأتي عملية الاجتهاد عندما يجد الباحث بعض الثغرات في المعلومات والحقائق التي يجمعها من المصادر التاريخية ، فيجب عليه في هذه الحالة سد مثل تلك الثغرات باللجوء إلى مبدأ الاجتهاد والاستدلال المنطقي ليملأ الفجوات في سياق بحثه التاريخي ، ولكن على الباحث أن يكون حذراً ودقيقاً في موضوع الاجتهاد وأن يفصل ما بين الحقائق المستخرجة من الوثائق والمصادر الأصلية وبين الاستنتاجات التي يصل إليها عن طريق الاجتهاد .

وهناك نوعان من الاجتهاد هما :

١ ـ الاجتهاد الموجب .
٢ ـ الاجتهاد السالب أو السكوت .

١ ـ الاجتهاد الموجب :

هو استنتاج حدث أو حقيقة تاريخية لم تذكر في المصادر التاريخية ، والسبيل إلى ذلك القياس على واقعه أو حدث تاريخي تثبت صحته المصادر التاريخية ، وقد طبق هذا المبدأ على كثير من الأحداث التاريخية ، وهناك بعض القواعد للاجتهاد الإيجابي أهمها :

أ ـ الجزئيات المستنتجة من الكليات .

ومن أمثلة ذلك اللغة التي سميت بها مدينة أو بلد معيّن تكون في الغالب لغة القوم الذين شيدوهما .

وعلى سبيل المثال : مدن : بيروت وبرمانا وصيدا في لبنان . فمع أنه لا توجد مصادر صريحة على أن بيروت وبرمانا قد شيدهما الآراميون أو الساميون الغربيون . بيد أن اسم بيروت مثلاً يشير إلى أصلها الآرامي (فهي جمع آرامي لكلمة بئر) وبرمانا يعني اسمها (بيت رمان) (ورومان من الآلهة السامية الغربية الخاص بالزوابع والعواصف)[1] .

وكذلك مدينة صيدا التي يشير اسمها إلى أصل كنعاني ـ فنيقي (نسبة إلى الإله صيدون) .

وهناك أسماء كثيرة من القرى والمدن في لبنان والوطن العربي تدل أسمائها على بناتها .

ولكن هذه القاعدة ليست عامة وليست مطلقة على جميع الأماكن والمدن .

ب ـ ينبغي أن تكون الكلية أو القاعدة العامة صحيحة وأن تكون الصلة ما بينها وبين الجزئيات المستنتجة منها وثيقة بها .

ففي قاعدة أسماء الأماكن التي وردت لا يصح أن تكون صحيحة على الإطلاق .

فهناك مثلاً مدن أمريكية حديثة أسسها مهاجرون أوروبيون وسموها بأسماء مدن قديمة بعضها يونانية الأصل أو عربية . مثل مدينة (سيراكوزا) في ولاية نيويورك فإنها رغم اسمها اليوناني لم يشيدها اليونان القدماء . ومثل «القاهرة» في ولاية «النيوي» لم يؤسسها المصريون[2] .

٢ ـ الاجتهاد السالب أو السكوت :

الاجتهاد السالب أو ما يطلق عليه «السكوت حجة» ومعنى ذلك أن

---

(١) باقر طه : المصدر السابق ـ ص ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١٢ .

سكوت المصادر التاريخية عن ذكر حدث معين يعني أنه لم يحدث وهذه مغالطة شائعة ومنافية لقواعد المنطق والاستدلال فليس من الضروري أن تذكر الوثائق التاريخية جميع الأحداث التي وقعت في الماضي ، كما وأن الكثير من المصادر الأصلية قد ضاعت أو أتلفت لأسباب عديدة .

وهناك كثير من الأحداث السابقة التي وقعت لم يهتم المؤرخون بتوثيقها لاعتقادهم أنها غير مهمة في تلك الفترة .

وهناك طائفة من الحوادث لم يسجلها المؤرخون المعاصرون بسبب رقابة السلطة .

وهناك أمثلة كثيرة على ذلك لا مجال لذكرها هنا[١] .

وأخيراً ينبغي على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار أن ما يستنتجه من الاجتهاد بكلا نوعيه الموجب والسالب ، لا يرقى إلى مرتبة النتائج الحاسمة والحقائق التي يتوصل إليها عن طريق المعلومات الموثقة في المصادر والأصول التاريخية .

---

(١) انظر : عثمان ـ حسن ـ منهج البحث التاريخي : ص ١٧٦ فيما بعد .

ـ ٣ ـ

مرحلة التركيب والتأليف والعرض

التـركيـب أو التـأليـف التـاريخـي (SYNTHESIS) ثـم عـرض المـادة التاريخية ، هي الحصيلة النهائية لجهود الباحث التي بذلها في المراحل والخطوات الأولى في بحثه .

وقد يعتقد الباحث المبتدىء أن مرحلة التأليف والعرض أمر سهل ، لا يتطلب جهداً سوى جمع الحقائق والأخبار التاريخية وعرضها على هيئة تاريخ مدون ، ولكن هذا أبعد ما يكون عن البحث العلمي والتأليف التأريخي ، ولا سيما حسب المفاهيم والأساليب الحديثة في التدوين التاريخي . فقد أهملت أساليب قدماء المؤرخين تدوين التاريخ وعرضه التي كانت تقتصر على عرض الروايات المختلفة بدون تسليط النقد عليها وتعليلها ، من هنا لم نجد فيها أثراً لشخصية المؤرخ الذي لم يبين رأيه بالأحداث ولم يعرض لنا أسبابها ومسبباتها ، ولم يتناول المعطيات الجديدة التي تتكون من جراء تلك الأحداث .

أما المؤرخ الحقيقي بالمفهوم الحديث فيقع عليه واجب ثقيل في استخلاص تأريخ مفهوم ومسبب ، وإظهار آرائه وشخصيته ، وتقديم ما يرتأيه من أسباب وتفسيرات يتوصل إليها في تحليل الأحداث والوقائع التي جمعها ونقدها .

وينبغي عليه أن يعرض مادته بأسلوب متناسق واضح يستند إلى التسلسل

المنطقي في العرض وترتيب مادة البحث ترتيباً فنياً وبأسلوب لغوي واضح بعيداً عن التعقيد في التعبير . وهنا تظهر في هذه المرحلة من البحث التاريخي مهارة الباحث المؤلف في التمكن من ناحية التعبير اللغوي والعرض المنطقي الفني .

وبوجه عام لا توجد للتأليف والعرض التاريخي قواعد ثابتة متفق عليها من جانب الباحثين ، ولكن خبرات الباحث الشخصية من خلال اشتغاله وتمرسه في حقل البحوث التاريخية والتدوين التاريخي هي المعوّل عليها ، ولا يخفى أن هناك الباحثين المبتدئين والباحثين المتمرسين المدربين ، وقدرة المتمرسين أنفسهم تتفاوت من باحث إلى آخر من حيث القابلية والقدرة على التعبير والعرض الفني .

ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض الإرشادات والملاحظات التي قد تفيد المبتدئين في هذا الميدان .

أ ـ إن أول ملاحظة نذكرها عن موضوع التأليف والعرض التاريخي هي : أن هناك أنواعاً وأصنافاً مختلفة من التأليف التاريخي يختلف كل منهاً عن الآخر في أسلوبه ، نذكر من أشهرها . التاريخ العام الذي يخص حضارة معينة أو بلد معين أو تاريخ دور حضاري بارز من تاريخ دولة معينة أو تاريخ موضوع خاص عن حضارات مختلفة أو بحث عن شخصية تاريخية مهمة أو تاريخ علم من العلوم وتطوره إلى غير ذلك من البحوث التاريخية الخاصة .

وإلى جانب هذه التقسيمات ، هناك مؤلفات تاريخية توضع إلى جمهور القراء من غير ذوي الاختصاص وأخرى توضع للاختصاصين ومن الطبيعي أن كلاً من هذين النوعين من التدوين التاريخي يختلف عن الآخر من حيث ذكر المصادر والوثائق التي اعتمدها المؤلف في جمع معلوماته ، ومن حيث أسلوب العرض والتعابير والصياغة اللغوية أيضاً .

فالكتب التي تؤلف لجمهور القراء ، الهدف المتوخى منها نشر الثقافة التاريخية العامة بين الجمهور ، فليس من الضروري أن يحمّل النص وجهات

النظر المختلفة المتعارضة ، كما لا يلزم الإكثار من الهوامش وتحاشي التعابير والمصطلحات المعقدة ، بل يجب توخي السلاسة والسهولة في التعبير والبساطة في العرض في حين أن الكتب التي تؤلف للاختصاصي يجب على المؤلف أن يعرض وجهات النظر المختلفة عن الموضوع وإجلاء الغوامض والإكثار من التفسيرات والتعليلات مع ذكر المصادر وتهميشها وتثبيت معلوماته حسب مصادرها معتمداً التسلسل المنطقي والتاريخي .

ب ـ تقسيم مادة البحث التاريخي في العرض : سواء كتبت البحوث التاريخية لجمهور القراء أم لذوي الاختصاص فهي تشترك في بعض الأمور . منها أسلوب العرض العام ، باتباع طرق متفق عليها تقريباً بين الباحثين وفي مقدمتها ، مراعاة وحدة الموضوع التاريخي ، تقسيم البحث أو الكتاب إلى وحدات متناسقة ومتجانسة كالأبواب والفصول وأقسام الفصول وينبغي أن يخصص كل باب أو كل فصل إلى عرض موضوع متجانس في مادته مع مراعاة تسلسل وحدات الفصل وأن ترتب الفصول المختلفة حسب تسلسلها التاريخي والمنطقي بحيث تكون المعلومات في المؤلف متتالية ومترابطة من الوجهة المنطقية ، بحيث يكون الفصل السابق ممهداً للفصل الذي يليه الذي يعتمد في فهم مادته عليه .

ج ـ تحليل وتسبيب أحداث التاريخ : على المؤرخ الباحث ألا يقتصر على مجرد سرد الروايات والأحداث التاريخية خالية من التسبيب والتحليل أي ذكر الأسباب والعلل التي ساهمت في وقوع تلك الأحداث وعليه أن يجهد في إبراز شخصيته أي آرائه الشخصية فيما يكتشفه ويرتأيه من علل وأسباب ويقدم ذلك إلى القارىء ليحكم بنفسه في مسألة قبولها أو رفضها .

د ـ تقسيم التاريخ إلى أدوار زمنية HISTORICAL PERIODS : اتفق المؤرخون على تقسيم التاريخ إلى أدوار وذلك لتسهيل درس التاريخ ، إذ يصعب علينا أن نقسم أحداث التاريخ إلى فترات زمنية يبدأ إحداها في سنة معينة وينتهي الآخر في سنة أخرى تعقبها إذ أن التاريخ بوجه عام يتميز

بالاستمرارية (CONTINUITY) والوحدة (UNITY OF HISTORY) كما أن الظاهرة الحضارية العامة في التاريخ البشري هي أن تراث الشعوب متواصل ومتداخل ، فالعصور السابقة تتداخل في العصور اللاحقة وتدخل في بنائها ونسيجها . ويصدق ذلك بوجه خاص على استمرارية النظم الاجتماعية والعقائد والممارسات الدينية والاتجاهات الفكرية التي تتسم بالاستمرارية رغم التحولات التكنولوجية .

الفصل الثالث
العلوم المساعدة في منهجية البحث

العلوم المساعدة (AUXIALARY SCIENCES)

هي مجموعة من المعارف والعلوم والأساليب التي يستعين بها الباحث التاريخي في جمع مصادره وفهمها وتمحيصها ونقدها ثم تقديم مادته للقارىء على هيئتها المقبولة .

وترافق هذه العلوم تقريباً جميع المراحل والخطوات التي يتبعها الباحث خلال إعداد بحثه التاريخي .

فيستعين ببعضها في أثناء عملية جمع الأصول والمصادر وبعضها في أثناء عملية النقد والاجتهاد وطائفة منها في المرحلة النهائية وهي مرحلة التأليف والعرض التاريخي .

وإذا كان يتعذر على الباحث أن يتخصص بهذه العلوم المساعدة كلها أو بعضها فإنه يلزم عليه أن يلم بالعلم الذي له صلة مباشرة بموضع بحثه ، فإن العلوم المساعدة تختلف في أهميتها حسب قربها أو بعدها عن الموضوع المراد البحث فيه .

فالعلوم المساعدة التي تلزم الباحث في الحضارات القديمة تختلف عن العلوم المساعدة التي يلزمه الإلمام بها في بحثه عن التاريخ اليوناني أو الروماني أو العربي الإسلامي ، أو التاريخ الأوروبي .

وفيما يلي أهم العلوم المساعدة التي تفيد الباحث في منهج البحث التاريخي والأثري .

١ ـ علم الخطوط القديمة (PALAEOGRAPHY) :

يختص هذا العلم بدراسة الكتابات والخطوط القديمة ويعتبر من العلوم الأساسية المساعدة للباحث التاريخي وله فروع متعددة . مثل علم الخطوط والكتابات في الحضارات القديمة ، كالخط المسماري في حضارة وادي الرافدين والخط الهيروغليفي في حضارة وادي النيل والخط اليوناني القديم والخطوط الرومانية ، والخطوط العربية القديمة ، كالخط المسند والرقعي والكوفي وغيرها . والخطوط الأوروبية في العصور الوسطى التي تطورت واختلفت من عصر إلى آخر . وغيرها من الخطوط القديمة .

تأتي أهمية دراسة الخطوط القديمة لدى الباحث التاريخي حتى يتسنى له الرجوع إلى المصادر التي دونت بها ويجمع منها مادة بحثه .

والمعروف أن كلاً من تلك الخطوط التي ذكرنا أشهرها ، لم يبق على حال واحدة في الشكل والطراز ، بل طرأت عليه تغييرات أساسية بحسب العصور المختلفة ، كما أن خط العصر الواحد يختلف من مؤلف إلى آخر . الأمر الذي يقتضي من الباحث التاريخي أن يكون على علم ومعرفة بأشكال خطوط الوثائق التاريخية وتطورها التي يتفرع منها فرع خاص يتعلق بحل رموز الخطوط القديمة يسمى بمصطلح «أبيغرافيا» (EPIGRAPHY) ويدخل ضمنه معرفة وفحص المواد المختلفة التي استعملت في التدوين في العصور القديمة كألواح الطين والأحجار وأوراق البردي والرقوق وأنواع الورق المختلفة[١] .

٢ ـ علم اللغة :

وهو من العلوم المساعدة المهمة في منهج البحث التاريخي ، وأهم فروعه . فقه اللغة (PHILOLOGY) وعلم معاني المفردات وتطورها (SEMANTICS) . فإن فهم نصوص الوثائق التاريخية التي تكوّن مادة البحث التاريخي يتوقف على معرفة الباحث باللغة المدونة بها .

(١) تم اختراع الورق في الصين في القرن الثاني الميلادي .

واللغات تتطور وتتغير من عصر إلى آخر ومن كاتب إلى آخر ، وفهم تطور اللغة تفيد الباحث ليس في فهم محتوى الوثيقة فحسب بل لتحديد زمانها فيما إذا كانت غير مؤرخة وذلك من خلال معرفة نوع الخط الذي كتبت به ، ومن خلال المفردات اللغوية المستخدمة في الكتابة ، حيث أن لكل عصر مفرداته ومصطلحاته وتعابيره .

ويمكن للباحث لفهم اللغة المدونة بها الوثائق التي يجمع منها معلوماته ، أن يستعين بالمعاجم اللغوية الموثوق بها لا سيما المعاجم التي تذكر تاريخ استخدام المفردات اللغوية في العصور المختلفة . وأهمها المعاجم المختلفة التي صدرت في أوروبا والتي تهتم باللغات الأوروبية القديمة كاليونانية والرومانية ، وفيها نجد تاريخ استخدام المفردات وتطورها ، وهناك جداول في تطور حروف الخطوط القديمة ، نذكر منها جداول العلامات المسمارية وأشكالها المختلفة بحسب العصـور . وغيرها من المعاجم التي تتناول معظم الخطوط في الحضارات القديمة .

١ ـ من أهم المعاجم التي تتناول لغات العراق القديم كالأكدية والبابلية والأشورية ، المعجم الموسع الذي وصفه مجموعة من الباحثين في جامعة شيكاغو ويعرف باسم «المعجم الأشوري» .

٣ ـ علم الوثائق (DIPLOMATICS) :

يهتم هذا العلم بتحقيق الوثائق ونقدها وتحديد أزمانها وإثبات أصالتها ، وهو علم قريب الصلة من فن الأرشيفات التي تتناول الكتابات الرسمية أو شبه الرسمية التي تختص بالقرارات والاتفاقيات والمراسلات السياسية والقوانين الاجتماعية والاقتصادية والمشاريع وغيرها من الأمور التي تتعلق بمختلف شؤون الدولة وعلاقاتها مع الدول الأخرى(١) .

---

(١) الألوسي سالم : علم تحقيق الوثائق ص ١٠ .

ورغم أن هذا العلم حديث النشأة في أوروبا بيد أن الدراسات العربية الحديثة تدل على أن هذا الفن كان معروفاً لدى الباحثين العرب ولا سيما في علم الفقه والحديث وهو ما يعرف بمصطلح علم الشروط[1] .

ولأهمية هذا العلم سوف نفرد له مبحث خاص في هذه الدراسة يتناول تحقيق الوثائق والمخطوطات .

٤ ـ علم النقود (NUMISMATICS)[2] :

يهتم بدراسة النقود والعملات القديمة ، يطلق عليه أيضاً مصطلح علم «النميات» وتعتبر النقود والمسكوكات التي ظهرت بعد القرن السابع (ق.م) من المصادر التاريخية المهمة التي تساعد الباحث في استخراج معلومات ثمينة عن الحقبة التاريخية التي يدرسها من حيث أحوالها الاقتصادية وأساليب التعامل التجاري والأسعار ، بالإضافة إلى معرفة أسماء الحكام والملوك والسلاطين الذين ضربت بأسمائهم وأسماء المدن التي ضربت فيها النقود ، وتُبين لنا أيضاً مدى اتساع سلطة الحكام واتساع النشاط التجاري والعلاقات التجارية ما بين الشعوب والدول .

وكثيراً ما اكتشف الباحثون من دراستهم للمسكوكات أسماء ملوك وحكام ومدن مجهولة لم تكن معروفة ولم يرد ذكرها في كتب المؤرخين[3] .

فالمسكوكات وثائق مهمة في تثبيت أو نقض الكثير من الأخبار التي وصلت إلينا عن طريق المدونات التاريخية المختلفة .

فالعملة اليونانية مثلاً تكشف عن كثير من الحقائق في تاريخ الجماعات السياسية التي كانت ذات كيان خاص مكنها من أن تسك العملة ، ولم يعرف

---

(١) باقر طه : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
(٢) الكرملي ـ أنستاس : النقود العربية وعلم النميات ـ ص ٣١ ـ ٢ظ (١٩٣٩) .
(٣) فهمي ، عبد الرحمن : السكة في فجر الإسلام ص ٣٧ ـ القاهرة ١٩٤٧ .

وجود بعض الجماعات إلا عن طريق عملتها التي حفظها التاريخ من الضياع[1] .

وإذا ما ركزنا على المسكوكات الإسلامية فيمكن للباحث في ميادين البحوث التاريخية والأثرية الإسلامية أن يفيد أعظم الفائدة من دراستها في جوانب مختلفة ومتعددة .

فإن أقدم المسكوكات الإسلامية التي وصلتنا تؤكد ما جاء بكتب المؤرخين وهو أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من ضرب المسكوكات في العصر الإسلامي . فقد وصلتنا فلوس نحاسية مضروبة على الطراز البيزنطي مؤرخة من سنة ١٧ هجرية (٦٣٨ م) عليها اسم الخليفة عمر[2] وضرب في عهده أيضاً مسكوكات على الطريقة الساسانية[3] كتب عليها عبارات «الحمد لله» «محمد رسول الله» .

والمسكوكات العربية الإسلامية تؤكد أيضاً الأخبار التاريخية التي تفيد بأن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦ هـ) (٦٨٥ ـ ٧٠٥ م) هو أول من ضرب نقود عربية خالصة[4] .

ومن المسكوكات ما ضرب للدعاية والحرب النفسية وخير دليل على ذلك الدنانير التي سكها الفاطميون سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م) وثبتوا عليها اسم مصر كمحل للضرب وذلك قبل أن يقوموا باحتلال مصر بسبعة عشر عاماً[5] .

٥ ـ علم الأختام (SPHRAGISTICS) :

يهتم هذا العلم بدراسة الأختام والشارات والتواقيع حيث كانت طرز

---

(١) يزبك قاسم : التاريخ ومنهج البحث التاريخي ـ ص ٥٥ ـ .
(٢) عبد الرزاق ، ناهض ـ المسكوكات ص ٣٤ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٤ .
(٤) المصدر نفسه ص ٤٩ .
(٥) الحسيني ، محمد باقر ، دراسة تحليلية عن نقود الدعاية مجلة المسكوكات ص ٩ (العدد ٦ ـ سنة ١٩٧٥) .

التواقيع والأختام والرموز والرسوم المصاحبة لها تختلف من عصر إلى آخر ومن حاكم إلى آخر وبذلك يستعين الباحث التاريخي في تحديد زمن الوثيقة التاريخية الخالية من التاريخ بالإضافة إلى ما يستنتجه عن العهد الذي يبحث فيه من ناحية ألقاب الحكام والملوك والأمراء وشعاراتهم والعبارات الخاصة التي يستخدموها في تواقيعهم .

ويلحق بهذا النوع الشارات التي تنقش على الدروع والرايات وملابس النبلاء والجند ، وقد استخدمت هذه الشارات والإشارات في الحضارات القديمة وفي العصور الوسطى والعصور الإسلامية .

إن معرفة الباحث في التاريخ ، بهذا العلم تجعله قادراً على تحديد تاريخ صنع ما يقع تحت يده من الأسلحة والوثائق وغيرها من الآلات والأدوات الممهورة بختم أو بإشارة معينة من الإشارات التي كانت مستخدمة خلال العصور القديمة[١] .

٦ ـ علم الإنسان (ANTHROPOLOGY)[٢] :

هو العلم الذي يعنى بدراسة الكائن البشري وهذا العلم ينهض برسالته هذه بصورة هي أكثر شمولاً واتساعاً من كافة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى ، فالإنسان حسب المنظور الأنثروبولوجي (ANTHROPOLOGYICAL, PERSPECTIVE) يمثل حقيقة كبرى يصعب سبر أغوارها إذا أريد الإحاطة بكل أبعادها وجوانبها وعلاقتها في الزمان والمكان والتراكيب والنماذج الحضارية والاجتماعية التي تعبر عنها وعلى هذا الأساس ، يحتضن علم الإنسان أسلوباً نظرياً وتطبيقياً مزدوجاً من حيث نظرته إلى هذا الكائن ، على أنه كائن حضاري (CULTURAL BEING) وطبيعي (NATURAL) في الوقت نفسه .

---

(١) باقر طه ـ المصدر السابق : ص ١٣٠ .

(٢) النوري قيس : المدخل إلى علم الإنسان ص ١١ .

وهذا العلم في استيعابه اللامحدود لواقع الإنسان يتناول بالبحث الدقيق الأشكال الاجتماعية الكثيرة لنظم الإنسان ، كما يعني بدراسة ماضيه وحاضره ويربط الأحداث والظواهر الجارية بالعوامل المختلفة التي أوجدتها وتفاعلت معها وعلم الإنسان أيضاً ينفتح على واقع الإنسان بجوانبه الفكرية والروحية من جهة والاقتصادية والتكنولوجية من جهة أخرى ، باعتبار الحاجات البشرية تؤخذ من هذين الصنفين من العوامل ، ما دام الإنسان لا يزال يخضع بحكم طبيعته المزدوجة إلى القوى الطبيعية أو البايولوجية بوصفه كائناً حيوياً ، والقوى الحضارية الاجتماعية بوصفه كائناً فكرياً وعقلانياً عقائدياً .

والمعروف عن علم الإنسان أنه قد أبدى اهتماماً كبيراً بدراسة المجتمعات البدائية البسيطة وعلاقاتها وحركاتها على المستوين الفردي والجماعي وعلاقتهما بالتطور الحضاري . وهذا العلم على الرغم من حداثته التي لا تتجاوز المائة عام ، قد حقق نمواً وازدهاراً لم يحققه أي من الاختصاصات الأخرى .

وأعظم ما يميز هذا العلم عن غيره من العلوم هي طبيعته المقارنة (COMPARATIVE NATURE) فكونه قد درس آلاف الجماعات والمجتمعات البشرية في كافة القارات وعلى كل المستويات الحضارية ، تجعل منه علماً مؤهلاً لتوفير الأطر المناسبة لفهم الواقع الإنساني فهماً علمياً غير متحيز .

وعلم الإنسان وعلم الاجتماع يتعاملان في جهود مشتركة كل حسب خلفيته ، فالأنثرويولوجي بما يملكه من تراث ميداني غزير ومتنوع عن الأنظمة الحضارية والاجتماعية العديدة والمختلفة ، قد خدم علم الاجتماع الذي استثمر هذه المعلومات وأفادته في تنقيح الكثير من آرائه السابقة التي بنيت على دراسة مكتبية وانطباعية ناقصة وغير متوازنة ، بسبب اقتصارها على المجتمع الغربي في أوروبا وأميركا .

فكلا العلمين يلتقيان في الأهداف الكبرى التي تتمحور حول فهم النظم

الاجتماعية وما ينتج عنها من علاقات ويرتبط بها من ظواهر حضارية واجتماعية .

كما وأن علماء الإنسان التاريخيين يمكنون الباحث المعاصر من معرفة الكثير من الحقائق عن تاريخ الإنسان الحضاري ، كما يوفرون المعلومات أيضاً عن حضارات الجماعات البدائية التقليدية وتطورها ، والأساليب التي رافقت تعاقب النماذج الحضارية المختلفة لبعضها البعض ، وقد عرفنا من علم الإنسان التاريخي أو الأثاري كيف أن التطور الحضاري (CULTURAL, EVOLUTION) في أنحاء العالم المختلفة لم يجر بسرعة متساوية ، وأن الحضارات الحديثة قد تغيرت كثيراً في مسيرتها التاريخية حتى أصبحت في هيئتها الحاضرة مختلفة تماماً عما كانت عليه في بداية ظهورها قبل مئات الألوف من السنين[١] .

٧ ـ علم الجغرافيا GEOGRAFY :

علم الجغرافيا من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التاريخ ، فالأرض هي المسرح التي حدثت عليه وقائع التاريخ ، ومع أن الإنسان هو العامل الحاسم في أحداث التاريخ والحضارة . بيد أن للأحوال الجغرافية لبلد ما أثر بارز في سير تلك الأحداث التي لا يمكن فهمها وتفسيرها على الوجه الأكمل ما لم تدرس في خلفية جغرافية .

والواقع أن الحضارة ما هي إلا نتيجة للتفاعل ما بين قابليات الإنسان وقدراته وسلوكه وبين بيئته الطبيعية ، سواء كان ذلك من ناحية المناخ العام كحالة الأمطار والأنهار والطقس وما تقدمه تلك البيئة من إمكانات اقتصادية ، وموقع البلد الجغرافي واتصالاته . ويكون استغلال الإنسان لها وتسخيرها لصالحه هو الذي يحدد الخصائص التاريخية والحضارية لبلد معين في ضوء خصائصه الجغرافية .

ومما يوضح لنا أثر الجغرافيا في التاريخ ، ما نلاحظه من تأثيرها أحياناً

---

(١) النوري ، قيس : المصدر السابق ص ٢٢ . (بغداد ١٩٨٣) .

في تغير مجرى التاريخ ، فمثلاً أعاقت الثلوج دون تقدم الألمان إلى قلب روسيا وحالت دون سيطرة الألمان على روسيا ، كما وأعاق البحر تقدم تيمورلنك عن العبور إلى أوروبا بعد أن هزم بايزيد الأول في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢ م وبذلك لم يتمكن من القضاء على الدولة العثمانية فاستعادت مكانتها بعد قليل[١] وهناك أمثلة كثيرة أخرى تبين لنا مدى تأثير الجغرافيا على مجريات أحداث التاريخ .

وبالرغم من تطور الأساليب في سيطرة الإنسان على بيئته الطبيعية بعد التطورات العلمية والتقنية بيد أن البيئة الطبيعية ، لا زالت ذات آثار بعيدة في حياة الإنسان بمختلف أوجهها ومقوماتها .

٨ ـ علم الاقتصاد ECONOMY :

الاقتصاد من العلوم الضرورية التي تساعد الباحث في التاريخ والآثار على فهم دراسته والإلمام بها بصورة أفضل ولا سيما في المرحلة التي تتعلق بتفسير التاريخ والعوامل المسيِّرة لأحداثه ، فإن العوامل الاقتصادية من وسائل الإنتاج وطرقه وتوزيع الثروة والموارد الاقتصادية ، كل ذلك وغيره من العوامل الحاسمة والمسيِّرة للتاريخ ، بحيث أن التفسير المادي للتاريخ أصبح الأساس الذي تقوم عليه النظرية الاشتراكية الماركسية[٢] .

وكذلك يولي كل المؤرخين تقريباً باختلاف مذاهبهم أهمية للأحوال الاقتصادية في تفسير التاريخ باعتبار أنها من العوامل الموجهة لمصائر الشعوب في تقدمها أو انحلالها . وتؤثر الظروف الاقتصادية في علاقة الدول بالعالم الخارجي وفي مستوى مكانتها الدولية وقوتها العسكرية وتأثيرها في اتخاذ القرار على المستوى العالمي خاصة في المنظمات الدولية . فالدولة الأقوى اقتصادياً هي الأقوى عسكرياً وبالتالي هي صاحبة القرار الأول في تقدير مصير الشعوب كما هو الحال في المجتمع الدولي الحديث الذي تتحكم به الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب معروفة .

---

(١) يزبك قاسم : المصدر السابق ـ ص ٥٥ .

(٢) باقر طه : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

٩ ـ علم التقويم (CHRONOLOGY) :

هو من العلوم المساعدة المهمة التي تساعد الباحث التاريخي في أداء مهمته بشكل أفضل وأفيد .

والمعروف أن المؤرخين في الحضارات القديمة قد اتخذوا أساليب مختلفة ومتنوعة في تاريخ الأحداث ، أشهرها أن يتخذ من حادثة مهمة ، تاريخاً رسمياً تؤرخ بها الحوادث .

أو حسب سني الملوك والحكام .

وقد أُتبعت تلك الطريقتين في حضارة وادي النيل . واتخذت بعض الحضارات حادثة ثابتة للتاريخ . مثل التاريخ الميلادي ، والتاريخ الهجري .

وحادثة أولى ألعاب «أولمبية» في الحضارة اليونانية وتأسيس مدينة روما عند الرومان ، ويطلق على العهود الثابتة التي يؤرخ بها أو منها مصطلح «العهد» (ERA) وفيما يلي أشهر العهود[١] :

١ ـ العهد العبراني : منذ الخليقة التي حسب تاريخها في (٤٠٠٤ ق.م) .

٢ ـ العهد اليوناني : منذ الدورة الأولى للألعاب الأولمبية (OLYMPIAID) في عام ٧٧٦ ق.م .

٣ ـ العهد الروماني : منذ تأسيس مدينة روما سنة (٧٥٢ ق.م) .

٤ ـ العهد السلوقي في العراق وسوريا في عام (٣١١ ق.م) .

٥ ـ العهد الروماني في سوريا (٦١ ـ ٦٥ ق.م) .

٦ ـ العهد الميلادي ـ ميلاد السيد المسيح في حدود (٢ ـ ٤ ق.م) .

٧ ـ العهد العربي الجنوبي : (١١٠ ـ ١١٥ م) .

٨ ـ العهد القبطي في مصر عام (٢٨٤ م) .

٩ ـ العهد الهجري : (٦٢٢ م) .

(١) باقر طه : المصدر السابق ـ ص ١٣٢ .

الفصل الرابع
تحقيق الوثائق والمخطوطات

تحقيق الوثائق والمخطوطات[1]

يهدف الباحث من وراء تحقيق المخطوطات القديمة نشر نص صحيح ومحقق للوثيقة التاريخية ، وهناك قواعد وأساليب خاصة لتحقيق المخطوطات ونشرها متفق عليها عند معظم الباحثين ، وبالنظر لأهمية نشر المخطوطات العربية التي تتضمن التراث العربي في مختلف ميادين المعرفة ، نجد من الضرورة أن نتناول أهم الطرق والأساليب المتبعة في تحقيق الوثائق والمخطوطات العربية التي تتمحور حول القواعد التالية :

١ ـ البحث عن المخطوطات وجمعها :

إن أولى المراحل التي يمر بها الباحث الذي يريد أن يحقق مخطوطة معينة : هي البحث عن المخطوطة بنسخها المتعددة الموجودة في المكتبات ودور الأرشيفات المختلفة ، وهنا يلجأ الباحث إلى فهارس المخطوطات العربية الموجودة في مختلف أنحاء العالم المنشور منها وما لم ينشر . وقد وضعت عدة مؤلفات عن ذلك من قبل المستشرقين وبعض الباحثين العرب . وبعد معرفة مكان وجود النسخ المتعددة للمخطوطة يجب الحصول على أكبر عدد ممكن من تلك النسخ بواسطة التصوير أو بأية وسيلة أخرى .

٢ ـ تصنيف النسخ :

بعد الحصول على أكبر عدد ممكن من النسخ ، تبدأ الخطوة الثانية وهي

(١) أول من وضع منهجاً بتحقيق المخطوطات العربية هو المجمع العربي العلمي بدمشق .

عملية تصنيف النسخ التي يمكن حصرها بالأنواع التالية :

أ ـ النسخة الأم :

وهي النسخة الأصلية التي دونت بخط المؤلف وتعتبر من أهم النسخ وأفضلها التي يفضل الاعتماد للنشر .

وفي حال العثور على هذه النسخة يجب التأكد من أنها كتبت دفعة واحدة أو أنها كتبت على مراحل للتأكد من أن النسخة التي حصل عليها الباحث هي النسخة النهائية ، لأنه من المعروف في تاريخ أساليب المؤلفين العرب أن بعضهم يضع مؤلفه أولاً في شكل مَعين ثم يزيد أو ينقص فيه بعد مدة بهدف تنقيحه وتصحيحه ، وعلى ما يروى أن ابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) قد ألّف مقدمته المشهورة على مرحلتين ، وبنسختين ويقال إن النسخة المنقحة لم يعثر عليها[١] .

وجرت عادة المؤلفين أنهم غالباً ما يثبتون ذلك في ذيل آخر نسخة يدونونها .

ب ـ نسخ مضاهية للنسخة الأم :

تأتي من بعد النسخة الأم من حيث الأهمية النسخة التي دونت بخط مؤلف آخر عاصر المؤلف وقرأها عليه فأجازها ، وكثير ما يثبت ذلك بخطه بأنه قرأها بنفسه أو قرئت عليه ، وعلى هذا الأساس تكون هذه النسخة بمرتبة النسخة الأم باستثناء شكل الخط .

جـ ـ نسخة كتبت في عصر المؤلف وقرأت على ثقاة عرفوا المؤلف وعاصروه وأثبتوا صحة المعلومات التي وردت في تلك النسخة .

د ـ النسخ المتعددة لكتاب واحد ضاع أصله وفي الغالب إن هذه النسخ ليست من زمن واحد وفي هذه الحالة يجب اختيار أفضل النسخ فيها للاعتماد عليها ، وليس من الضروري أن تكون أقدم هذه النسخ هي أفضلها إذ ربما تكون

(١) باقر ، طه : المصدر السابق ـ ص ١٧١ .

أحدثها هي الأفضل وقد تكون منقولة عن النسخة الأم أو عن نسخة معاصرة لزمن المؤلف ، لذلك لا يوجد قاعدة معينة لتحديد أفضل النسخ ولكن على الباحث أن يجتهد في اختيار أفضلها مع تبيان سبب وقوع اختياره على أحد النسخ وتفضيلها على غيرها من النسخ الأخرى المتوفرة لديه[1] .

٣ ـ تحقيق علاقة النسخ بعضها ببعض :

الهدف من هذه العملية هو تحديد أنساب النسخ وتصنيفها حسب الأهمية وتحديد العلاقة أو الصلة النسبية فيما بينها ، ويمكن الوصول إلى هذه النتيجة عن طريق جملة من الدلالات والمؤشرات أهمها :

١ ـ الأغلاط :

إن النسخ التي تحتوي على نفس الأغلاط في نفس المواضع هي في واقع الحال نسخٌ نقلت عن بعضها البعض أو أنها نقلت عن نسخة واحدة .

٢ ـ عن طريق الروايات المتطابقة :

إن النسخ التي تحتوي على روايات متطابقة في أحداثها ، لا بدَّ أن تكون قد نقلت عن مصدر واحد وقد يكون هذا المصدر هو النسخة الأم ، وبهذه الحالة تصنَّف النسخ الفرعية إلى مجموعات كل منها يحتوي على نفس الروايات ، وبعد تصنيف النسخ إلى مجموعات يجتهد الباحث في تحديد أفضل المجموعات التي يجب أن يعتمد عليها في النشر .

وينبغي على المحقق أن يتجنب التسرع في استخلاص القراءات المختلفة لنص معين ، وأن لا يأخذ مثلاً النص المذكور في أغلب النسخ على أنه النص الصحيح .

فلو فرضنا أن لدى الباحث عشرة نسخ من مخطوطة معينة ، اتفق أن وردت فيها معلومات متطابقة لحدث معين ، بينما نجد الحدث نفسه لم يرد في مخطوطة أخرى .

---

(١) باقر ، طه : المصدر السابق ص ١٧١ .

فهذا لا يعني أن النسخ العشرة هي الصحيحة والنسخة الواحدة هي الخطأ .

وربما تكون أخبار وروايات النسخة الواحدة هي الأصح .

وربما تكون النسخ العشرة للمخطوطة قد نقلت عن بعضها البعض فتشابهت في سرد الأحداث والروايات أو أنها تكون قد نقلت جميعها عن نسخة واحدة .

وبعد ترتيب النسخ حسب أهميتها يشرع الباحث في مقارنة الروايات المستقلة بغية الوصول إلى الأصل بقدر الإمكان .

فإذا ما اتفقت مثل هذه الروايات فيما بينها على نص صحيح أمكن تذليل أهم العقبات في عملية النشر أما إذا اختلفت الروايات فيجب على الباحث أن يجتهد في التحري والتمحيص لإيجاد النص الصحيح وفي هذه الحالة سوف يختار نسخة واحدة من النسخ وهي التي اختار منها ما يعتقد أنه ورد فيها الرواية الصحيحة .

٤ ـ تحقيق المخطوطة ونشرها :

تختلف أساليب نشر المخطوطات باختلاف أنواعها ، ويمكن تحديد هذه الأساليب في الحالات الآتية :

١ ـ نشر النسخة الأم :

تنشر المخطوطة الأم كما هي واردة بخط المؤلف حتى ولو كانت تحتوي على أخطاء ، ولا يجوز مطلقاً تصحيح الأخطاء الواردة في المتن ، وعلى الناشر أن يثبت تصحيحاته في الهوامش .

أن تثبيت نص النسخة الأم كما هي بأغلاطها بدون تصحيح أو إضافات ، أمر في غاية الأهمية لأن النص المدوّن بخط المؤلف يعطينا بعض الدلالات والمؤشرات عن ثقافة عصره ويبين شخصية المؤلف وأسلوبه ومدى ثقافته

واطلاعه كما نجد في أسلوبه مؤشرات مهمة عن تطور اللغة والمصطلحات العلمية المستخدمة في عصره .

وإذا أهمل المؤلف المصادر والمراجع التي استقى منها معلوماته ، فعلى الناشر في هذه الحالة أن يبذل جهداً كبيراً ليعرفنا على تلك المصادر ويتم ذلك عن طريق البحث في روايات المؤرخين الآخرين الذين سبقوا عصر المؤلف أو من الذين عاصروه ، وبعدها يتم تثبيت المصادر في الهوامش أو في المقدمة التي يضعها الناشر .

٢ ـ انتفاء وجود النسخة الأم :

الحالة الثانية التي يصادفها المحقق الناشر ، هي انتفاء وجود النسخة الأم . ولا يوجد لديه سوى عدة نسخ مختلفة الأزمان والخطوط .

هنا على الناشر أن يجتهد ليختار من بين النسخ المتعددة نسخة واحدة فيعتمدها بمثابة النسخة الأم . فيثبت نصها في متن النشر . ثم يقابل هذا النص مع نصوص النسخ الأخرى ويشير في الهوامش إلى الاختلافات إن وجدت .

وفي حالة وجود زيادات في بعض النسخ الغير معتمدة على الناشر أن يشير إلى تلك الزيادات في الهامش وإذا رأى أن هذه الزيادات مهمة ويجب إضافتها إلى متن النص ، عليه أن يضيفها في موقعها المناسب في النص ، ويشير إلى ذلك في الهامش .

ويجوز للمحقق أن يضيف كلمة أو حروفاً سقطت من المتن على أن يضع هذه الإضافات بين أقواس وإذا كان هناك من نقص في بعض الجمل نتيجة التلف في أوراق المخطوطة ، يمكن للناشر أن يضيف الجمل الناقصة من مخطوطة أخرى على أن يضعها بين أقواس ويشير إلى ذلك في الهامش .

وإذا وجدت إضافات في حواشي أو جوانب المخطوط ، لا يجوز وضعها في متن النص وإنما تبقى في أماكنها حيث وجدت ، أو تكتب جميعها في الهوامش مع ذكر مكان وجودها في المخطوط .

وإذا كان الأصل المعتمد في النشر مشكولاً كله أو بعضه ، يلزم على الناشر المحقق أن يحافظ على ذلك ، وإن وجدت في المتن آيات قرآنية يستحسن تشكيلها إن كانت خالية من التشكيل بالاعتماد على القرآن الكريم ويفضل تشكيلات الكلمات التي يصعب قراءتها وكذلك بعض الألفاظ التي يلتبس معناها بدون تشكيل مثل الأعلام وبعض الأفعال المبنية للمجهول .

٥ ـ إضافات الناشر المحقق :

بعد تثبيت نص المخطوطة كما وردت ، يجب على الناشر أن يضيف بعض الإضافات التي لا بد منها ، وأهمها :

١ ـ وضع مقدمة يبين فيها جملة من الأمور المهمة ، منها تحديد موضوع المخطوط وذكر المؤلفات والدراسات الأخرى التي تناولت الموضوع نفسه وتبيان أهمية المخطوط بين المؤلفات المتشابهة والتنبيه إلى الاختلافات الواردة فيها مع ذكر الأشياء الجديدة التي تضعها النسخة المحقّقة .

٢ ـ ترجمة مؤلف المخطوط وتحديد زمانه ومكانه وبيان منزلته ومكانته وشهرته العلمية مع ذكر المصادر التي يرجع إليها القارىء عن هذه الترجمة .

٣ ـ تحديد النسخة التي اعتمد عليها الناشر المحقق إذا كانت النسخة الأم أو أنها إحدى النسخ الأخرى مع ذكر عدد النسخ الأخرى التي تناولت نفس الموضوع وذكر الأسباب التي دفعته إلى اختيار إحداها دون غيرها لتكون بمثابة النسخة الأم .

٤ ـ هناك بعض الأمور التي يجب ذكرها في مقدمة الناشر . تتضمن نوع الخط الذي كتبت به المخطوطة وهل هي كتبت بخط واحد أو عدة خطوط مختلفة ، وكذلك نوع الحبر وألوانه .

وذكر عدد أوراق المخطوطة وقياسات كل ورقة وعدد سطورها وطول كل سطر ، وهل تحتوي المخطوطة على هوامش وشروح أو أية تفسيرات أخرى .

ويثبت في الكتاب المحقق صورة الورقة الأولى والأخيرة في المخطوطة

الأصلية ويستحسن تثبيت ورقة أو ورقتين من وسطها .

٥ ـ يجب تثبيت المراجع والمصادر التي اعتمدت في تحقيق المخطوطة ونشرها .

٦ ـ يجب وضع جملة من الفهارس من جانب الناشر المحقق وأهمها :

١ ـ فهرست الأعلام الواردة في الكتاب المحقق .

٢ ـ فهرست بالأمكنة والبقاع والأنهار وغيرها من المعلومات الجغرافية .

٣ ـ فهرست بالمصطلحات العلمية والفنية وألفاظ الحضارة وذكر المفردات الأجنبية .

٤ ـ وأخيراً فهرست المصادر والمراجع التي اعتمد عليها مؤلف المخطوطة وحسب التسلسل الأبجدي .

٦ ـ بعض الرموز التي تستخدم في المخطوطات :

كثيراً ما يجد الناشر المحقق للمخطوطة بعض العلامات والرموز الغير متداولة في كتب اليوم ، أهمها :

١ ـ الحرف (صـ) بهيئته الممدودة وتسمى ضبة وتعني أن اللفظ الموضوعة فوقه ، فيه خطأ أو علة .

٢ ـ المختصر (صح) يوضع فوق اللفظ ويعني أن الكلمة كما هي مثبتة صحيحة .

٣ ـ اللفظ المضروب بخط : يعني أنه محذوف .

٤ ـ بما أن الكثير من المخطوطات القديمة غير منقوطة فقد جرى عرف المؤلفين والنساخ القدماء أن يضعوا بعض العلامات والإشارات على الحروف أشهرها :

أ ـ وضع حرف (ح) صغير فوق الكلمة التي فيها جاء لئلا تقرأ خاءً .

ب ـ وضع حرف (ع) صغير تحت الكلمة التي فيها الحرف عين لئلا تقرأ

غيناً وكذلك كانوا يفعلون في حالة الحروف الأخرى المنقطة حديثاً .

٥ ـ جرى العرف لدى المؤلفون القدماء على اختصار بعض الألفاظ فيشيرون إليها بحروف معينة منها :

رحه = رحمه الله .

تع = تعالى .

رضه = رضي الله عنه .

إلخ = إلى آخره .

اهـ = انتهى .

أنبا = أنبأنا .

خ = البخاري .

م = مسلم .

ت = الترمذي .

د = أبو داوود .

ن = النسائي .

ق = القزويني .

* * *

(١) باقر ، طه : المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .

الفصل الخامس
بعض المخطوطات التاريخية
في مكتبات العالم

بعض المخطوطات التاريخية في مكتبات العالم

١ ـ أخبار ملوك العرب الأولين من بني جرهم وهود :

تأليف أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ت ٢١٦ هـ = ٨٣١ م .

نسخة في المكتبة الوطنية بباريس برقم ٦٧٢٦ عربيات ، كتبها ابن السكيت على الرق بالخط الكوفي في ٥٢ ـ ص سنة ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م وعنها نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي . راجع : ميخائيل عواد : مخطوطات المجمع العراقي ـ دراسة وفهرسة (١ [بغداد ١٩٧٩] ص ٢٣٣ ، الرقم ٦/ تاريخ) .

٢ ـ أخبار مصر (فضائل مصر المحروسة) :

تأليف : أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري ـ ت بعد ٣٥٥ = بعد ٩٦٦ م .

نسخة في متحف الآثار الفلسطيني بالقدس مصورة عن نسخة قديمة بجامع أحمد باشا الجزار في عكا . مكتوبة في القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد .

٣ ـ الإنباء بأنباء الأنبياء (عم) وتواريخ الخلفاء وولايات الأمراء :

تأليف : محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي ت ٤٥٤ هـ = ١٠٦٢ م .

نسخة في مكتبة برلين برقم ٩٤٣٣ تاريخها ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م .

٤ ـ أنساب قُريش :

تأليف الزبير بن بكّار الزبيري ، ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م الجزء الثاني منه ، رواية أحمد بن سليمان الطوسي في مكتبة كوبريلي بإستنبول ، الرقم ١١٤١ ، كُتب في القرن الخامس للهجرة .

٥ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام :

تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ = ١٠٧١ م .

مجلد في مكتبة المتحف البريطاني برقم (ADD 23316) تاريخه ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م .

(مجلة لغة العرب العدد ٧ بغداد ١٩٢٩) .

٦ ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام :

للخطيب البغدادي : الجزء السابع والثمانون من تجزئة قديمة في مكتبة برلين برقم ٩٧٥٧ تاريخه ٥٠٠ هـ = ١١٠٦ م .

٧ ـ تاريخ الرسل والملوك :

تأليف محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ = ٩٢٣ م الجزء الثامن ، من نسخة في مكتبة برلين برقم ٩٤١٧ تاريخه ٤٤٧ هـ = ١٠٥٥ م .

٨ ـ التاريخ الصغير :

تأليف : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م .

نسخة في الظاهرية برقم ١٠/ حديث في ٢٨٧ ورقة .

٩ ـ تاريخ علماء الأندلس :

تأليف : محمد بن حارث بن أسد القيرواني ت ٣٦١ هـ = ٩٧١ م .

نسخة بخط أندلسي عتيق في الخزانة الملكية بالقصر الملكي في الرباط برقم ٦٩١٦ . مكتوبة سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م الموجود منها ١٩٢ ورقة .

١٠ ـ التاريخ الكبير :

تأليف : أحمد بن زهير بن شداد ت ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م نسخة بخط أندلسي قديم على رق الغزال في فاس . وعنها نسخة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

١١ ـ التاريخ الكبير :

تأليف : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، ت ٥٢٥٦ = ٨٧٠ م الجزء الثالث من نسخة في الأزهر برقم ٦٨١/ تاريخ ، في ٣٠ ورقة عليها سماع في سنة ٤٨٥ هـ = ١٠٩٢ م .

١٢ ـ التاريخ الكبير :

للإمام البخاري : الجزء الأول من نسخة ضمن مجموع في الظاهرية برقم ٢١٤/٦٦ .

كتب في القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد .

١٣ ـ ترصيع الأخبار والمسالك إلى جميع الممالك :

تأليف : أحمد بن عمر الأندلسي ت ٤٧٨ هـ ـ ١٠٨٥ م السفر السابع من نسخة قديمة منه ترقى إلى عصر المؤلف نشر خير الدين الزركلي (الأعلام جـ ١ ط ٤ : دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ص ١٨٦) .

١٤ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء :

تأليف أحمد بن عبدالله المعروف بأبي نعيم الأصفهاني ت ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م في الظاهرية الجزء الثاني والخمسون . تجزئة قديمة من نسخة عتيقة كتبت في حياة المؤلف ، عليها سماعات بعضها بتاريخ وفاة المؤلف سنة ٤٣٠ هـ .

١٥ ـ خُلق النبي :

تأليف محمد بن عبدالله بن عبد العزيز . من أهل القرن الخامس للهجرة .

نسخة في مكتبة جامعة ليدن برقم OR.437 في ٣٨٧ ورقة مكتوبة قبل سنة ٤٢١ هـ = قبل ١٠٣٠ م راجع : فورهوف : فهرس مخطوطات ليدن . ص (١٦٢) .

١٦ ـ كتاب السير في الأخبار والأحداث :

تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن حارث الفزاري ت ١٨٨ هـ (٨٠٤ م) .

الجزء الثاني من نسخة في خزانة جامعة القرويين بفاس ، مكتوب بخط أندلسي على رقّ غزال سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) ، يبحث الكتاب في قانون الحرب بين المسلمين ومن عاداهم .

١٧ ـ سِيَر القديسين :

نسخة قديمة في مكتبة دير طورسينا ، كُتب على الرقّ سنة ١٥٥ هـ/ ٧٧٥ م . نوه بها توفيق اسكاروس في مجلة «الشرق والغرب» (القاهرة ١٩٣٠ ـ ص ٣٠٦) .

١٨ ـ سيرة أحمد بن طولون :

تأليف : عبدالله بن محمد بن عمير المدني من أهل القرن الرابع للهجرة (ق ١٠ م) .

نسخة في الظاهرية ، برقم ٢٤٢/ تاريخ . في ١٢٧ ورقة ، مكتوبة في القرن الخامس للهجرة (ق ١١ م) .

١٩ ـ فضائل الخلفاء الأربعة :

تأليف : أبي نعيم الأصفهاني : ت ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م . نسخة ضمن مجموع في الظاهرية ، برقم ٦٦ (٢٥٠) .

٢٠ ـ فضائل الكوفة وفضل أهلها :

تأليف : أبي عبدالله محمد بن علي العلوي ، ت ٤٧٤ هـ/ ١٠٧٨ م .

نسخة ضمن مجموع في الظاهرية ، برقم ٣٨٢٩ ، في ١٧ ورقة .

٢١ ـ الفهرست :

تأليف : أبي الفرج محمد بن إسحق الورّاق البغدادي المعروف بابن النديم .

نسخة ، سقط من أولها نحو ثلثها ، بمكتبة شهيد علي باشا في مكتبة السليمانية بإستانبول برقم ١٩٣٤ مكتوبة في القرن الخامس للهجرة .

٢٢ ـ الكامل :

تأليف : أبي العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري ، المعروف بالمبرِّد ت ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م .

نسخة في المكتبة المحمودية التي بمكتبة المدينة المنورة العامة برقم ١٥/ لغة ـ الموجود منها : الجزء الرابع ، في ٢٥٧ ورقة وبه تمام الكتاب .

٢٣ ـ كتاب في التاريخ :

لم يُعرف مؤلفه .

نسخة قديمة نادرة ، في مكتبة دير طور سينا كُتب على الرق . بالخط الكوفي البسيط سنة ١٥٥ هـ (٧٧١ م) راجع . يسّ عبد المسيح : مكتبة دير سيناء . (مجلة الراعي الصالح ـ الإسكندرية ١٩٤٩ ص ٤٩) .

٢٤ ـ مختصر التواريخ الشرعية عن الأئمة المهدية :

تأليف : محمد بن محمد بن النعمان ، المعروف بالشيخ المفيد . ت ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢ م .

نسخة في المكتبة المركزية لجامعة طهران كتبت سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠١ م ذكرها :

١ ـ د . حسين علي محفوظ . مجلة المعهد : ٣ (١٩٥٧) ص ٥١ .

٢ ـ د . صلاح الدين المنجد . مجلة المعهد : ٦ (١٩٦٠) ص ٣٣٢ .

٢٥ ـ المسالك والممالك :

تأليف : الحسن بن أحمد المهلّبي ت ـ ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م في مكتبة الأمبروزيانا في ميلانو برقم G3 ضمن مجموع يمني فيه أوراق قديمة إلى جوانب أخرى أحدث منها .

الفصل السادس
الطرق المتبعة في كتابة البحوث

اختبار البحث التاريخي أو الأثري
والطرق المتبعة في كتابة البحوث

١ ـ اختيار موضوع البحث :

إن أولى الخطوات المهمة عند اختيار البحث سواء كان في علم التاريخ أو الآثار هو اختيار موضوع البحث ووضع عنوان له ، على أن يكون ذلك العنوان معبراً وبكلمات موجزة عن مضمون البحث ، وأن يهدف الباحث عند اختيار موضوع بحثه إلى حل مسألة من المسائل المهمة وأن يقدم معلومات جديدة أو يضيف معلومات ناقصة أو يصحح معلومات يصفها الباحث بأنها خاطئة وتكون قد وردت في بحوث أخرى .

وبالنتيجة يجب أن يتوخى الباحث الدقة والعلمية في إيصال المعرفة وصولاً إلى الحقيقة .

ويجب أن يتم اختيار موضوع البحث عن رغبة شخصية واهتمام كبير في هذا الموضوع على أن يتحاشى الموضوعات البعيدة عن حقل اختصاصه وعلى الباحث قبل اختيار موضوع بحثه أن يوفر كافة المستلزمات للوصول إلى الحقيقة . ومن هذه المستلزمات نذكر :

أ ـ المصادر اللازمة للبحث ..

ب ـ الإمكانيات المادية التي يتوقع أن يحتاجها لإنهاء البحث .

جـ ـ إذا كان موضوع البحث يتعلق بالآثار على اختلاف أنواعها ، يفترض

أن تكون هذه الآثار في متناول الباحث ويسهل الوصول إليها لإجراء دراسات ميدانية .

د ـ وضع خطة البحث :

بعد اختيار موضوع البحث ووضع عنوان له يبدأ الباحث بالمرحلة التالية وهي وضع خطة البحث .

تبدأ الخطة بوضع مقدمة للبحث تتضمن ملخصاً للمعلومات التي يتوقع ورودها في البحث بحيث يستطيع القارىء لهذه المقدمة أن يلم بموضوعات البحث دون أن يقرأ محتواه .

بعد المقدمة تقسم الخطة إلى أبواب أو فصول حسب طول البحث أو قصره .

وعليه أن يتبع التسلسل التاريخي في تبويب الفصول وأن لا يقدم فصل على آخر ، على أن تكون الفصول متسلسلة تسلسلاً تاريخياً ومنطقياً ومرتبطة ببعضها البعض .

بعد الانتهاء من تبويب الفصول التي قد تقسم إلى مباحث حسب اقتضاء الحاجة ينهي الباحث خطة بحثه بالخاتمة التي يذكر فيها أهم الاستنتاجات التي يستنتجها الباحث مع ذكر أهم آرائه الشخصية وكل ما هو جديد قد توصل إليه من خلال البحث .

٣ ـ الشروع بجمع المعلومات من المصادر :

بعد أن يكون الباحث قد حدد أهم المراجع التي لا بد منها في جمع المعلومات تبدأ عملية جمع المعلومات من تلك المصادر وتتم بثلاث طرق أهمها :

الطريقة الأولى : استخدام البطاقات التي يجب أن تكون متساوية في الحجم .

يثبت في أعلى البطاقة المعلومات التالية :

١ ـ اسم المصدر المقتبس عنه النص المدون مع ذكر الجزء والصفحة .

٢ ـ اسم المؤف ولقبه .

وفي حال اعتماد الباحث على طبعتين مختلفتين لمصدر واحد يجب ذكر محل الطبع وزمانه على كل بطاقة ويستحسن أن يثبت في أعلى البطاقة عنوان الباب أو الفصل في خطة البحث التي يمكن أن ترد فيه تلك المعلومات .

وإذا كان النص المقتبس طويلاً ، يفضل أن يثبت جزءاً منه في البطاقة ، ويشار إلى الجزء الآخر بتثبيت أرقام الصفحات من المصدر مع ذكر الجزء والطبعة ومكان وجوده ليرجع إليه فيما بعد .

بعد الانتهاء من جمع المادة في بطاقات توزع البطاقات حسب الأبواب أو الفصول المخصصة لها وتوضع في رزم منفصلة . تختص كل رزمة بباب أو فصل من فصول البحث المبنية في خطة البحث .

الطريقة الثانية : استخدام الملفات :

يخصص الباحث لكل فصل أو باب من أبواب البحث ملف خاص به .

ثم يتم تدوين المعلومات المقتبسة في أوراق متساوية الحجم داخل الملف .

يثبت أسفل كل ورقة اسم المؤلف ولقبه مع ذكر المصدر والجزء ورقم الصفحة والطبعة عند الضرورة .

ثم يقسم الملف أقساماً متعددة بحسب التبويب الذي يرتئيه في كتابة البحث ، ثم يوضع بين كل قسمين ورقة من نوع سميك لها لسان بارز يكتب على وجه كل لسان عنوان الفصل المواجه للكتابة وعلى ظهر اللسان عنوان الفصل الآخر المقابل بحيث يكون من السهل فتح الملف في أي وقت على الفصل المطلوب .

ويمكن للباحث أن يضيف أوراقاً جديدة كلما اقتضى الأمر ذلك لإضافة معلومات جديدة .

وإذا ازدحم الملف بالأوراق يمكن استخدام ملف آخر وهكذا حتى نهاية جمع المعلومات .

الطريقة الثالثة : استخدام الدفاتر :

يعتمد البعض في جمع المعلومات في دفاتر يخصص كل دفتر منها لفصل معين من فصول البحث وتجمع في كل دفتر جميع الاقتباسات التي تخص ذلك الفصل ، وربما يحتاج أحياناً إلى أكثر من دفتر لكل فصل ، عندئذ ترقم تلك الدفاتر أولاً بأول . وفي الدفاتر تذكر نفس المعلومات التي تذكر في الأوراق والملفات كاسم المصدر واسم المؤلف وغيرها من المعلومات وتثبت في نهاية كل ورقة .

ويميل عدد كبير من الباحثين اليوم إلى اعتماد طريقة الملفات في جمع المعلومات من المصادر وذلك لأن المادة تجمع وتوزع دفعة واحدة ، بدل جمع المادة في بطاقات التي قد تكون عرضة للضياع ثم إنه إذا أراد الباحث إضافة معلومات جديدة إلى أي من الاقتباسات التي اقتبسها سابقاً فمن السهولة أن يضيف ورقة جديدة إلى الملف يضعها جانب الورقة التي يريد أن يضيف إليها تلك الاقتباسات بينما في حالة الزيادة على البطاقات فإنه يبذل جهداً كبيراً لفرز البطاقة التي يريد زيادة المعلومات إليها .

أما في الحالة الثالثة أي تثبت الاقتباسات في دفاتر فإنه من الصعوبة بمكان إضافة ورقة جديدة إلى الدفتر لذلك يعمد الباحث إلى إهمال أية معلومات إضافية يحصل عليها لاحقاً لكي لا يربك نفسه في توضيب هذه الاقتباسات الجديدة . لذلك ننصح باستخدام الطريقة الثانية في جمع المعلومات .

٤ ـ توصيف المعلومات في صفحات البحث :

تقسم المعلومات في كل صفحة إلى قسمين :

١ ـ المتن ـ ويذكر فيه المعلومات المقتبسة من المصادر والآراء الشخصية للباحث . وإذا كان الاقتباس نصاً وحرفياً يجب وضعه بين قوسين ، ولا بد من حسن الانسجام بين ما يقتبس وبين ما قبله وما بعده بحيث لا يبدو أي تنافر .

وإذا أراد الباحث أن يهمل جملة أو فقرة مما اقتبسه ، عليه أن يضع ثلاث نقاط أفقية مكان الفقرة المهملة تم يكمل النص المقتبس . وتبوّب المعلومات المقتبسة في المتن حسب تبويبها بالهوامش ، على أن يوضع الرقم في المتن مرتفعاً قليلاً عن السطر ويوضع عادة عند نهاية الجملة المقتبسة أو فوق اسم المؤلف إذا ورد في المتن .

٢ ـ الحاشية أو الهامش :

يفصل بين الحاشية والمتن بخط أفقي . وهناك ثلاث أشياء تذكر في الهامش :

١ ـ المصدر المقتبس منه .

٢ ـ إيضاحات تورد أحياناً لتفصيل ما ورد في متن البحث ولا تكون من ضمن البحث ولا يأخذ التوضيح رقماً بل يشار إليه بعلامة خاصة كالنجمة مثلاً (*) وإذا أريد توضيح آخر في الصفحة ذاتها فيشار إليه بنجمتين (* *) .

٣ ـ أن تحيل القارىء إلى مكان آخر من البحث ، وردت فيه بعض المعلومات التي لا يراد إعادتها مجدداً فيكتب عبارة : (انظر الصفحة كذا من الفصل كذا)[1] .

٥ ـ طرق الترقيم بالهامش :

هناك ثلاث طرق للترقيم بالهامش .

الطريقة الأولى : هي وضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة ، وهي تبدأ من رقم (١) وتنتهي بعدد المصادر التي اقتبس منها في الصفحة الواحدة . وتوضع في أسفل كل صفحة هوامشها وكل ما يتصل بها .

---

(١) شلبي ـ أحمد ـ كيف تكتب بحثاً أو رسالة ـ ص ١٠ .

الطريقة الثانية : إعطاء رقم متسلسل لكل فصل على حدة ويبدأ من رقم (١) ويستمر حتى نهاية الفصل .

الطريقة الثالثة : إعطاء رقم متسلسل للبحث كله ابتداءً من أول صفحة حتى آخر البحث .

ولعل الطريقة الأولى هي أفضل الطرق للترقيم بالهامش ، لأنه يسهل معها الحذف أو الزيادة دون التغير بعدد الورقات وبدون الرجوع إلى الأوراق الأخرى .

٦ ـ طرق ذكر المصادر في الهوامش :

إذا كان المصدر لمؤلف واحد يذكر اسم المؤلف مقلوباً ثم اسم المصدر والجزء والصفحة مثلاً إذا كان المؤلف هو طه باقر ومؤلفه هو مقدمة في تاريخ الحضارات يكتب على الشكل التالي : باقر : طه ـ مقدمة في تاريخ الحضارات جـ ١ ص ٥١ .

إذا تكرار المصدر ذاته مباشرة يكتب عبارة :

المصدر نفسه ص (كذا) . وإذا كان التكرار لمرجع أجنبي دون فاصل أيضاً أشير إليه هكذا Ibid - P. .

وإذا جاء بين الاقتباس الأول والاقتباس الثاني من المصدر نفسه ـ اقتباس آخر من مصدر آخر يكتب على الشكل التالي :

اسم المؤلف ـ المصدر السابق جـ (كذا) ـ ص (كذا) .

وفي حالة المرجع الأجنبي تكون الإشارة Op. Cit. P. .

إذا ذكر اسم المؤلف في متن البحث فلا داعي لإعادة الاسم في الهامش بل يذكر عنوان الكتاب فقط كأن يرد في متن الرسالة عبارة مثل قال ابن خلدون . . . فالهامش يكون كالآتي :

١ ـ المقدمة ـ ص (كذا) .

وإذا ورد اسم المؤلف وعنوان الكتاب في متن الرسالة فلا داعي لإعادة شيء منهما : فإذا قيل : ذكر ابن خلدون في مقدمته كذا . . . . كان الهامش كالآتي :

٢ ـ ص (كذا) .

إذا اشترك في تأليف الكتاب أكثر من مؤلف ، يذكر اسم من اشتهرت صلة الكتاب به أكثر من سواه وتضاف كلمة آخرون بعد ذلك الاسم .

مثلاً :

١ ـ باقر ـ طه وآخرون ـ منهج البحث العلمي ـ ص (كذا) .

وإذا كان الاقتباس من ترجمة وليس من الأصل كان الهامش كالآتي[1] ـ مثلاً :

١ ـ آدم متز : الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٢٥ ـ ترجمة محمد عبد الهادي .

وإذا كان الاقتباس ليس من الأصل بل من كتاب اقتبس منه لتعذر الحصول على الأصل كان الهامش كالآتي[2] على سبيل المثال :

١ ـ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٣ ـ ص ٢٥ . اقتبسه جورجيس عواد في كتابه «خزائن الكتب القديمة في العراق» ص ١٥٥ .

وإذا كان الاقتباس من مجلة أو صحيفة تكتب على الشكل التالي .

اسم الكاتب : عنوان المقال بين قوسين . اسم المجلة أو الصحيفة . مكان صدورها رقم العدد ـ تاريخ الصدور .

وإذا كان الاقتباس من أطروحة جامعية غير منشورة يكتب المصدر في الهامش على الشكل التالي :

---

(١) شلبي أحمد : المصدر نفسه ص ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٦ .

اسم المؤلف : عنوان الرسالة أو الأطروحة ثم يكتب بين قوسين (أطروحة أعدت لنيل شهادة الماجستير أو الدكتوراة في قسم كذا ، غير منشورة) ثم اسم الجامعة واسم الكلية والسنة .

إذا كان الاقتباس من مخطوطة غير محققة تكتب في الهامش على الشكل التالي :

اسم المؤلف ـ عنوان المخطوطة (الصفحة) ـ تاريخها ـ رقمها ومكان وجودها عدد الصفحات أو الورقات .

إذا كان الاقتباس من رسالة موجهة تكتب في الهامش على الشكل التالي :

١ ـ اسم المرسل ـ اسم المرسل إليه الدولة ـ التاريخ عدد الصفحات .

إذا كان الاقتباس من الوثائق الحكومية تكتب في الهامش كالآتي :

اسم الدولة ـ اسم المؤسسة المعنية بالوثيقة ـ عنوان الوثيقة ـ مرسوم قرار ـ رقمه وتاريخه ـ عدد الصفحات ـ ص (كذا) .

إذا كان الاقتباس من محفوظات الأرشيف تهمش كالآتي :

١ ـ اسم المؤسسة ـ الدولة عنوان الملف رقم الملف عنوان المخطوطة مصدرها (كاتبها أو مرسلها) المرسل إليه تاريخها عدد الصفحات ، ص (كذا) .

إذا كان الاقتباس عن طريق مقابلة شخصية يهمش في الهامش كالآتي :

١ ـ اسم الشخص وعائلته ـ تاريخ الولادة ـ البلدة ـ تاريخ المقابلة ـ مكانها ـ مهنة الشخص ـ موقفه من الحدث (معاصر له أو راوي عن معاصرين) .

إذا كان الاقتباس من محاضرة شفوية غير منشورة تهمش على الشكل الآتي :

١ ـ اسم المحاضر ـ عنوان المحاضرة ـ مكانها ـ زمانها (اليوم ـ الشهر ـ السنة) والساعة إذا أمكن .

إذا كان الاقتباس من حديث إذاعي أو تلفزيوني يهمش كالآتي :

١ ـ اسم الشخص ـ عنوان الحديث ـ اسم الإذاعة أو التلفزيون ـ القنال ـ تاريخ الحديث (اليوم ـ الشهر ـ السنة) والساعة إذا أمكن .

٧ ـ بعض الإرشادات للباحث المبتدىء :

١ ـ على الباحث أن يبدأ دراسته للبحث عن الحقيقة دون أن يكون له رأي في بادىء الأمر ، فيقرأ ويجمع المادة ويتفهمها ويقارن بعضها البعض الآخر ، لتوصله القراءة والدراسة إلى الحقيقة .

٢ ـ إن الباحث عند عرضه لموضوع بحثه عليه أن يكون صريحاً كل الصراحة في عرض الموضوع ثم في توضيح النتائج التي توصّل إليها .

٣ ـ على الباحث أن يبدأ دراسته لا ليبرهن على شيء بل ليكشف شيئاً ، وعليه أن يكون مستعداً لأن يغير رأياً كان قد كوّنه ، إذا جدَّ ما يستدعي هذا التغيير ، مهما استلزم ذلك التغيير من عناء .

٤ ـ عليه القراءة الواسعة والدقة في فهم آراء الغير وفي نقل العبارات ، وألا يأخذ آراء الغير على أنها حقيقة مسلم بها .

٥ ـ أن يكون أسلوب الباحث قوي التأثير على القارىء وأن يدعم بحثه بالأدلة العلمية وأن تكون لغته سليمة من حيث القواعد والإملاء وإن لم يكن ملماً بتلك القواعد ، عليه أن يرجع إلى من يجيد اللغة ليصحح له الأخطاء والهفوات .

٦ ـ على الباحث أن يعتمد على المصادر الأصلية وأن يلاحظ الموقع الجغرافي للمؤلف لأنه من الأفضل الاعتماد على مصدر مؤلفه قد عايش الحدث أو أن يكون قريباً من مكان حدوثه .

٧ ـ على الباحث أن يبدي رأيه بين الحين والآخر ليدل على حسن تفهمه لما هو أمامه من معلومات ولإبراز شخصيته في البحث الذي يقدمه ويعتبر الباحث مسؤولاً عن كل ما يورده في بحثه .

٨ ـ ننصح الباحث أن يقوم بتثبيت مراجعه في قوائم أو دفاتر أولاً بأول وأن يحدد مكان كل مرجع ، كأن يكون مكتبة عامة أو خاصة أو ضمن الكتب التي يمتلكها أو غيرها من الأماكن وأن يعد الباحث فهرساً عاماً للمراجع التي يحتاج إليها في بحثه .

٩ ـ يستحسن عدم استعمال ضمير المتكلم سواء كان ذلك في ضمائر الرفع والنصب والجر منفصلة أو متصلة بارزة أو مستترة (أنا ـ نحن ـ أرى ـ نرى ـ انتهيت ـ ورأيي إلخ) .

أما التعبيرات التي يجب أن تغلب على الأسلوب هي (يبدو أنه ـ ويظهر مما سبق ذكره ـ ويعتقد ـ ويتضح من ذلك وغيرها من العبارات المشابهة) .

١٠ ـ أن لا يظهر الباحث الإعجاب بالنفس وأن يناقش آراء غيره بتواضع دون التحامل على الآخرين .

المصادر العربية

١ ـ ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ) .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة دار الكتب المصرية ١٩٣٠ م .

٢ ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨ هـ) . ـ المقدمة : مطبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٨٢ .

٣ ـ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١ هـ) . ـ لسان العرب ـ القاهرة (١٣٠٠ هـ) .

٤ ـ أبو الصوف ـ بهنام ـ دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق (بحث في موسوعة حضارة العراق ـ الجزء الأول ـ بغداد ١٩٨٥) .

٥ ـ بدوي ـ عبد الرحمن بدوي . ـ النقد التاريخي : دار النهضة . مصر ١٩٦١ .

٦ ـ الجاحظ ـ عمر بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) . ـ البيان والتبيين : مطبعة دار الفكر بيروت .

٧ ـ الدباغ ـ تقي الدباغ . ـ طرق التنقيبات الأثرية : بغداد ١٩٨٣ .

٨ ـ الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داوود . ـ الأخبار الطوال : ليدن بدون سنة طبع .

٩ ـ الذهبي ـ محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) . ـ تذكرة الحفاظ : مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ هـ .

١٠ ـ الزركلي ـ خير الدين الزركلي . ـ الأعلام : دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٩ .

١١ ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) . ـ تاريخ الخلفاء : تحقيق محيي الدين عبد الحميد : بغداد ١٩٥٢ .

١٢ ـ شلبي ـ أحمد شلبي . ـ كيف تكتب بحثاً أو رسالة : مكتبة النهضة العصرية : مصر ١٩٦٨ .

١٣ ـ ضو : جورج ضو . ـ تاريخ علم الآثار : ترجمة بهيج عثمان ، دار عويدات بيروت ١٩٨٠ .

١٤ ـ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٥١ .

١٥ ـ طه باقر ـ وعبد العزيز حميد : طرق البحث العلمي ، مطبعة دار الكتب الموصل ١٩٨٠ .

١٦ ـ عبد العزيز الدوري : نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .

١٧ ـ عبد الرزاق : ناهض عبد الرزاق : ـ المسكوكات ، دار السياسة الكويت .

١٨ ـ عثمان ـ حسن ـ منهج البحث التاريخي ١٩٦٤ .

١٩ ـ عمر : محمد زيان عمر : ـ البحث العلمي مناهجه وتقنياته ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ١٩٨٣ .

٢٠ ـ فهمي : عبد الرحمن فهمي : ـ السكة في مجر الإسلام ، القاهرة ١٩٥٧ .

٢١ ـ الكرملي : أنستاس الكرملي : ـ النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ١٩٣٩ .

٢٢ ـ مصطفى ، شاكر : التاريخ العربي والمؤرخون ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩ .

٢٣ ـ المسعودي : أبو الحسن بن علي (ت ٣٤٦ هـ) . ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين ، مصر مطبعة السعادة ١٩٥٨ .

٢٤ ـ ميخائيل عواد : ـ مخطوطات المجمع العلمي العراقي ، دراسة وفهرسة ، بغداد ١٩٧٩ .
٢٥ ـ مجلة لغة العرب ـ العدد السابع بغداد ـ ١٩٢٩ .
٢٦ ـ موسوعة حضارة العراق : تأليف نخبة من الباحثين العراقين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٥ .
٢٧ ـ محمد باقر الحسيني : ـ دراسة تحليلية عن نقود الدعاية ، مجلة المسكوكات العدد ٦ ، بغداد ١٩٧٥ .
٢٨ ـ موسوعة بهجة المعرفة : مسيرة الحضارة ، الجزء الثالث ـ طبعت في إيطاليا ١٩٨٢ .
٢٩ ـ النوري ـ قيس النوري : ـ علم الإنسان ، بغداد ١٩٨٣ .
٣٠ ـ الهمداني : ـ الإكليل ـ طبع وتحقيق محيي الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٦٨ .
٣١ ـ يزبك ـ قاسم يزبك : ـ التاريخ ومنهج البحث التاريخي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ١٩٩٠ .
٣٢ ـ مجلة سومر ، العدد ٧ سنة ١٩٥١ ـ بغداد .
مجلة سومر ، العدد ٨ سنة ١٩٥٢ ـ بغداد .

20 - STARR. R: Nuzi - Vol. I - 1939.
21 - WHEELER. M: Archaeology from the carter 1954.
22 - LEAKEY. J: In national geogrophic marazine Vol - 120 - No. 4 - 1961.
23 - FRANKFORT. H: Studies. in early pottery of the near east. I, Royal anthropological institute occassionnal papers. No. 6 - 1924.

فهرس الموضوعات

الاهداء ٣

المقدمة ٥

الباب الأول

الفصل الأول : ٩

١ ـ نشأة علم الآثار ١١

٢ ـ علاقة علم الآثار بالعلوم الأخرى ١٥

٣ ـ أنواع المواقع الأثرية ١٧

الفصل الثاني : ٢٣

١ ـ التنقيبات الأثرية في الوطن العربي ٢٥

٢ ـ مفهوم التنقيبات الأثرية ٣١

الفصل الثالث : ٣٥

١ ـ الكشف عن الآثار ٣٧

٢ ـ المعلومات المطلوبة من الكشف ٣٨

٣ ـ أهداف التنقيب عن الآثار ٤٠

٤ ـ طرق التنقيبات العلمية ٤٣

١ ـ تأليف هيئة التنقيب ٤٣

٢ ـ عدة التنقيب ٤٨

الفصل الرابع : ٥٣
١ ـ طرق الحفر الأثري ٥٥
١ ـ طريقة حفر الاختبار ٥٦
٢ ـ طريقة الخنادق ٥٦
٣ ـ طريقة المدرجات ٥٦
٤ ـ طريقة الوحدات ٥٧
٥ ـ طريقة المباني ٥٧
٢ ـ الحفر الأثري المنظم ٥٩
٣ ـ التنقيب في المباني القديمة ٦١
٤ ـ تنقيب الفخاريات ٦٤
٥ ـ تنقيب المواد الأثرية الصغيرة ٦٨
٦ ـ تنقيب المدافن ٧٣
٧ ـ تنقيب الكهوف ٧٧

الباب الثاني

علم التاريخ

الفصل الأول : ٧٩
١ ـ تعريف التاريخ ٨١
٢ ـ وسائل التاريخ ٨٣
٣ ـ التدوين التاريخي في وادي الرافدين ٨٥
٤ ـ أهم الوثائق التاريخية في وادي الرافدين ٨٩
الفصل الثاني : ٩١
١ ـ التدوين التاريخي في وادي النيل ٩٣
٢ ـ التدوين التاريخي عند اليونان ٩٥
٣ ـ التدوين التاريخي عند الرومان ٩٨
الفصل الثالث : ١٠١
١ ـ التدوين التاريخي عند العرب ١٠٣

أ ـ التدوين التاريخي عند العرب قبل الإسلام ١٠٣
ب ـ التدوين التاريخي عند العرب في الإسلام ١٠٤
٢ ـ مادة التدوين التاريخي العربي في مراحله الأولى ١٠٩
٣ ـ أشهر المدونات التاريخية العربية ١١٠

الباب الثالث

الفصل الأول : ١١٣
١ ـ مناهج البحوث العلمية ١١٥
٢ ـ جمع المصادر ١١٩
٣ ـ كيفية البحث عن المصادر ١٢٣
الفصل الثاني : ١٢٥
١ ـ نقد النصوص ١٢٧
أ ـ النقد الظاهري ١٢٧
ب ـ النقد الباطني ١٣١
١ ـ النقد الباطني الإيجابي ١٣١
٢ ـ النقد الباطني السالب ١٣٢
٢ ـ الاجتهاد : ١٣٤
١ ـ الاجتهاد الموجب ١٣٤
٢ ـ الاجتهاد السالب ١٣٥
٣ ـ مرحلة التركيب والتأليف والعرض ١٣٧
الفصل الثالث : العلوم المساعدة في منهجية البحث ١٤٣
١ ـ علم الخطوط القديمة ١٤٤
٢ ـ علم اللغة ١٤٤
٣ ـ علم الوثائق ١٤٥
٤ ـ علم النقود ١٤٦
٥ ـ علم الأختام ١٤٧
٦ ـ علم الإنسان ١٤٨

٧ ـ علم الجغرافيا ١٥٠
٨ ـ علم الاقتصاد ١٥١
٩ ـ علم التقويم ١٥٢
الفصل الرابع : تحقيق الوثائق والمخطوطات ١٥٥
١ ـ البحث عن المخطوطات وجمعها ١٥٥
٢ ـ تصنيف النسخ ١٥٥
٣ ـ تحقيق علاقة النسخ بعضها ببعض ١٥٧
٤ ـ تحقيق المخطوطة ونشرها ١٥٨
٥ ـ إضافات الناشر المحقق ١٦٠
٦ ـ بعض الرموز التي تستخدم في المخطوطات ١٦١
الفصل الخامس : بعض المخطوطات التاريخية في مكتبات العالم ١٦٥
الفصل السادس : الطرق المتبعة في كتابة البحوث ١٧٣
١ ـ اختيار موضوع البحث ١٧٣
٢ ـ وضع خطة البحث ١٧٤
٣ ـ الشروع بجمع المعلومات من المصادر ١٧٤
٤ ـ توصيف المعلومات في صفحات البحث ١٧٦
٥ ـ طريقة الترقيم بالهامش ١٧٧
٦ ـ طرق ذكر المصادر في الهوامش ١٧٨
٧ ـ بعض الإرشادات للباحث المبتدىء ١٨١
المصادر العربية ١٨٣
المصادر الأجنبية ١٨٧
فهرس الموضوعات ١٨٩


دار
الفكر اللبناني